عدد ١



مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الاول	تونس في رجب ١٣٦٤ وفي جوان ١٩٤٥	المجلد السادس

رئيس قلم التحرير : محمد المختار بن محمود

المدير : محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات : ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة : نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس - تليفون ٢٦٠٤٩

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٢٤٢٣

الثمن ١٥ فرنكات



المجلد السادس — فهرس العدد — الجزء الاول

الاشتراك عن سنة ١٥٠ فرنك



مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الاول	تونس في رجب ١٣٦٤ وفي جوان ١٩٤٥	المجلد السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

ونريد ان نمن على الذين استضعفوا

في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين

فاتحة المجلد السادس

بحمدك اللهم نفتتح هذا المجلد المبارك وبتوفيق من حضرتك القدسية نعبر الى السنة العاشرة من هذا العمل الجليل المثمر وبهدايتك السرمدية نسلك منهجا من مناهج الحق وسبيلا من سبل الرشاد مستمدين الاعانة من فيوضاتك متدرعين بقوة الايمان وصدق العزيمة اللذين هما حلية اصفيائك ونصلي ونسلم على رسول جاء والعالم في هرج ومرج ونار الفتن متاججة تفترس الآمال فدعا الخليقة الى التوحيد واقام منار الحق حتى لا يضل ولا يشقى الا عنيد. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه ما جد جديد ونجح في الاصلاح ذو الراي السديد

اما بعد فالمجلة تنتقل الى سنة جديدة من حياتها وتخطو خطوة اخرى من غايتها وهي على طريقتها المثلى متمسكة بمبدئها مستشرفة لغرضها جادة في السير نحو هدفها يشد ازرها اهل الفكر الثاقب من رجال النهضة واصحاب القلم واعيان العلماء الاعلام وزينة العصر ومفخرة الاجيال شكر الله لهم وجازاهم عن الاسلام واهله الجزاء الاوفى بما قدموه للناس من هدى وعلم مما ورثوا عن صاحب الرسالة الاعظم صلى الله عليه وسلم فادوا الامانة ونصحوا والله يحب الناصحين

وما ابرزوه من ادب راق وتاريخ دفين نحن مدينون لهم ونقدر مجهودهم العظيم واعانتهم لنا على خدمة الدين والامة التي كتبناها على نفوسنا ونرجو من الله التايد

ونحن نستبشر في عهدنا الجديد بهذا العهد الذي استقبله العالم وبدت تباشير صباحه بعد ليل قاتم الجوانب حرم على الجفون الكرى بصواعقه ورعوده وقطع على السابلة طريق الامان والطمأنينة فاجفل الغيهب المريع عن فجر باسم اضاء السبيل وامن القافلة وعند الصباح يحمد القوم السرى. ورددت الاصوات نشيد الظفر وتقابلت الوجوه مستبشرة ناعمة وخفت الاجسام يهزها الفرح والحبور وتنفست النفوس عن جذل وغبطة ويحق لها الفرح والجذل وهي التي عانت ويلات الحرب وذاقت طعم الخصاصة وسامها الذل والنكد واقض مضجعها الحقد وأفزعها الطغاة فباتت فيه مضطربة الفرائس مذعورة من طاغية رومة (حامل سيف الاسلام) المزعوم الذي لا تنسى مواقفه المشؤومة واعماله المرزوة ونواياه الممقوتة واحلامه الطائشة هو واصدقاؤه التي قضوا بها زمنا رغداً وهم يرقبون رؤيتها تتحقق . ولكن عبثت بها الايام وقضى عليها وهي ما زالت حلما وكذلك الشر لا يلبث وهو في النفوس الشريرة حتى يقضي عليها قبل أن تلفظه ولا يحيق المكر السيء الا باهله. فلاجرم اذا راينا الاستبشار ورايتا الامال تتجدد واخذ وجه الحياة في التحول بما حدث

طاشت شرارة الحرب في اوروبا فاشتعلت نارها وتاجج جحيمها فغمرت اصقاعا نائية واحرقت اوطانا آمنة وتهدمت صوامع وكنائس وبيع ودكت معالم المعرفة واحرقت مآثر المجد واهلكت مفاخر الاجيال وقوضت عروشا كانت ترفل في مواطن العز والسؤدد وابكت ارامل وضيعت حمر حوامل واوحشت المحافل وشتتت المجامع وفقد الانسان الطمانينة والسكينة وقوضت مضاجعه ويلاتها وشرورها يبيت على احر من الجمر ويصبح تائها لا يدري الى اين المفر

سماء تمطر النار وارض تقذف بالنار واجواء ملئت بالدخان ، اشلاء مبعثرة ، وجثث هامدة ، ونفوس يتصاعد منها الزفير ، وارواح في النزع ، وافواه تلفظ النفس الاخير ، واقوام على وجه الارض هائمة ، تستجير ولا من مجير ، حتى نزلت الطامة ودارت الدائرة ، ووقعت الواقعة وتم النصر العظيم

انتصرت جيوش الحلفاء على جيوش المحور وفاز سلاح المنتصر على سلاح المنهزم . ولكن ليس هذا هو الذي اهتز له المنتصر واحتفلت من اجله الامم ولا هو الذي عناه قادة العالم من واوج اتون المعركة بل ان الغاية ابعد من ذلك واعظم

وفي ذلك تمهيد لانتصار الحق على القوة فهل يبلغ البشر الى هذه الدرجة ويصل الى تحقيق هذا الكمال ؟؟؟

محمد الشاذلي ابن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

من درس تفسير القرآن الكريم

للاستاذ الاكبر المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم

يتعين ان قوله الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية للرب لان مساقها مساق قوله الذي خلقكم والمقصود الايماء الى سبب آخر لاستحقاقه العبادة فانه لما اوجب عبادته انه خالق الناس كلهم اتبع ذلك بصفة اخرى تقتضي عبادتهم اياه ' وهي نعمه المستمرة عليهم ' اذ مكن لهم سبل العيش من القرار بعالم صالح لنماء البشر ، اذ هو كالفراش لهم ، ومن احاطة هذا العالم بالهواء النافع لحياتهم ' والذي هو غذاء الروح الحيواني ' وذلك ما اشير اليه بقوله والسماء بناء ، وبكون تلك الكرة الهوائية حائلا بين الناس وبين مضار قد تتسرب اليهم من العوالم العليا من زمهرير او حوامض قاتلة خانقة ' فلذلك كان نفع السماء كنفع البناء في الوقاية ' وبان اخرج للناس فيه اقامة اود حياتهم ' فشبهت به على طريقة التشبيه البليغ ' باجتماع ماء السماء مع قوة الارض وهو الثمار '

والمراد بالسماء هنا اطلاقها العرفي عند العرب ، وهو ما يبدو للناظر كالقبة الزرقاء ' وهو كرة الهواء المحيط بالارض ، كما هو المراد في قوله او كصيب من السماء . وهذا هو الغالب اذا اطلق لفظ السماء بالافراد دون الجمع .

ومعنى جعل الارض فراشا انها كالفراش في التمكن من السكون عليها ، حيث كانت

متوسطة بين اللين الشديد حتى لا يتزحزح المستقر عليها ، وبين الصلابة الشديدة حتى تؤلم المستقر فهذا وجه النسبة وذلك منة عظيمة وغيرة ، واما وجه شبه السماء بالبناء فيحتمل انها كالبناء في نظر العين فيكون محل عبرة لامته ، ويحتمل انها كالبناء فيما يراد له البناء ، وهو الوقاية من الاضرار النازلة ، والبناء في كلام العرب ما يرفع على الارض للوقاية سواء كان من حجر او من ادم او من شعر ، ومنه قولهم بنى على امراته اذا تزوج ، لان المتزوج يجعل بيتا ليسكن فيه مع امراته ، فان للكرة الهوائية دفعا لاضرار حين اظهرها دفع ضرر طغيان مياه البحار على الارض ودفع اضرار بلوغ اهوية بعض الكواكب الينا وتلطيفها حين تختلط بالهواء او صد الهواء اياها عنا وهذا اظهر .

وقد امتن الله علينا وضرب لنا العبرة باقرب الاشياء واظهرها لسائر الناس حاضرهم وباديهم وباول الاشياء في شروط هذه الحياة وفيهما انفع الاشياء وهما الهواء والماء النابع من الارض وفيهما كانت اول منابع البشر ، وفي تخصيص الارض والسماء بالذكر نكتة اخرى وهي التمهيد لما سياتي من قوله وانزل من السماء ماء الخ وابتدأ بالارض لانها اول ما يخطر ببال المعتبر ثم بالسماء لانه بعد ان ينظر لما بين يديه ينظر الى ما يحيط به

وقوله « وانزل من السماء ماء فاخرج به الخ» هذا امتنان بما يلحق الايجاد مما يحفظه من الاختلال وهو خلفه ما تتلفه الحرارة الغريزية والعمل العصبي والدماغي والقوة البدنية ليدوم قوام البدن بالغذاء واحل الغذاء هو ما يخرج من الارض وانما تخرج الارض النبات بنزول الماء عليها من السماء اي من السحاب والطبقات العليا ، واعلم ان كون الماء نازلا من السماء هو ان تكونه يكون في طبق الجو من آثار البخار الذي في الجو فان الجو ممتلىء دائما بالابخرة المتصاعدة اليه بواسطة حرارة الشمس من مياه البحار والانهار ومن نداوة الارض ومن النبات ولهذا نجد الاناء المملوء ماء فارغا بعد ايام اذا ترك مكشوفا للهواء ، فاذا بلغ البخار اقطار الجو العالية برد ببرودها وخاصة في فصل الشتاء ، فاذا برد مال الى التميع فيصير سحابا ثم يمكث قليلا او كثيرا بحسب التناسب بين برودة الطبقات الجوية والحرارة البخارية فاذا زادت البرودة عليه انقبض السحاب وثقل وتميع فتجتمع فيه الفقاقيع المائية وتثقل عليه فتنزل مطرا وهو ما اشار له قوله تعالى « وينشيء السحاب الثقال » وكذلك اذا تعرض السحاب للريح الآتية من جهة البحر وهي ريح ندية ارتفع الهواء الى اعلى الجو برد فصار مائعا وانما كان السحاب قليلا فساقت اليه الريح سحابا اخر فانضم احدهما للآخر ونزلا مطرا ولهذا اغلب المطر بعد هبوب الريح البحرية

وفي الحديث اذا نشأت نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة . ومن القواعد ان الحرارة وقلة الضغط يزيدان في صعود البخار وفي قوة انبساطه والبرودة وكثرة الضغط يصيران البخار مائعا وقد جرب ان صعود البخار يزداد بقدر قرب الجهة من خط الاستواء وينقص بقدر بعده عنه والى بعض هذا اشير ما ورد في الحديث ان المطر ينزل من صخرة تحت العرش فان العرش هو اسم لسماء من السموات والصخرة تقريب بمكان ذي برودة وقد علمت ان المطر تنشئه البرودة فيتميع السحاب فكانت البرودة في لقاح المطر .

«ومن» التي في قوله من الثمرات ليست للتبعيض اذ ليس التبعيض مناسبا لمقام الامتنان بل اما لبيان الرزق المخرج وتقديم البيان على المبين شائع في كلام العرب واما زائدة لتاكيد تعلق الاخراج بالثمرات «فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون» ان الفاء لترتيب هاته الجملة على الكلام السابق وهو مترتب على الامر بالعبادة والمراد هنا تسببه الخاص وهو حصوله عن دليل يوجبه وهو ان المامور بعبادته هو المستحق للافراد بها فهو اخص من مطلق ضد العبادة لان ضد العبادة عدم العبادة ولكن لما كان الاشراك للمعبود في العبادة يشبه ترك العبادة لان كمال العبادة ان لا شرك بعد غيره جعل ترك الاشراك مساويا لنقيض العبادة ، وفائدته انهم امروا بما فيه سلامتهم وفوزهم فنهوا عما هم به متصفون من الشرك كأنه يقول لهم ان اردتم الاتسام بميسم العبادة والتقوى فبادروا لخلع الشرك عنكم

والند بكسر النون المساوي والمماثل في امر من مجد او حرب ، وزاد بعض اهل اللغة ان يكون مناويا اي معاديا . وكانهم نظروا الى اشتقاقه من ندا اذا نفر وعاند وليس بمتعين لجواز كونه اسما جامدا مثل الند بالفتح اسم الطيب والظن ان وجه دلالة الند على المناواة والمضادة انها من لوازم المماثلة عند العرب فان شان المثل عندهم ان ينافس مماثله ويزاحمه في مراده فتحصل المضادة ونظيره في عكسه تسميتهم المماثل قريعا فان القريع هو الذي يقارع ويضارب ولما كان احد لا يتصدى لمقارعة من هو فوقه لخشيته ولا من هو دونه لاحتقاره كانت المقارعة مستلزمة للمماثلة وكذلك قولهم قرن للمحارب المكافيء في الشجاعة ويقال جعل له ندا اذا سوى غيره به والمعنى لا تثبتوا لله اندادا تجعلونها جهلا وهي ليست اندادا وسماها اندادا لان حال العرب في عبادتهم لها كحال من يسوي بين الله وبينها وان كانت الجاهلية يقولون ان الآلهة شفعاء ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله وجعلوا الله خالق الالهة فقالوا في التلبية : « لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك» لكنهم لما عبدوها ونسوا بعبادتها والسعي اليها والنذور عندها واقامة المواسم حولها عبادة الله اصبح عملهم عمل من يعتقد التسوية بينها وبين الله تعالى لان

العبرة بالفعل لا بالقول وفي ذلك معنى من التعريض بهم ورميهم باضطراب الحال ومناقضة الاقوال للافعال

وقوله «وانتم تعلمون» جملة حالية ومفعول تعلمون متروك لان الفعل لم يقصد تعليقه بمفعول بل قصد اثباته لفاعله فقط فنزل الفعل منزلة اللازم والمعنى وانتم ذووا علم والمراد بالعلم هنا العقل التام وهو رجحان الراي المقابل عندهم بالجهل على نحو ما في قوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقول النابغة ـ وليس جاهل شيء مثل من علم ـ وقول السموأل . فليس سواء عالم وجهول . وقد جعلت هاته الحال محط النهي او النفي تمليحا في الكلام للجمع بين التوبيخ واثارة الهمة فانه اثبت لهم علما ورجاحة الراي . وفي ذلك اثارة لهممهم والفات لبصائرهم نحو دلائل الوحدانية ونهاهم عن اتخاذ الآلهة او نفي ذلك مع تلبسهم به وجعله لا يجتمع مع العلم . توبيخا لهم على ما اهملوا من مواهب عقولهم واضاعوا من سلامة مداركهم . وهذا منزع تهذيبي عظيم . ان يعمد المربي فيجمع لمن يربيه بين ما يدل على بقية كمال فيه حتى لا يقتل همته بكثرة اليأس من كماله فانه اذا ساءت ظنونه في نفسه خارت عزيمته وذهبت مواهبه وياتي بما يدل على نقائص فيه ليطلب الكمال فلا يستريح من الكد في طلب العلى والكمال وقد اومأ قوله وانتم تعلمون الى انهم يعلمون ان الله لا ند له ولكنهم تعاموا وتناسوا فقالوا ان لا شريك هو لك.

قال درابر الامريكي :

بعد ان وسع العرب ملكهم وايدوا كلمتهم حولوا افكارهم نحو المعارف والعلوم فامتازوا فيها وبرزوا على معاصريهم اذ كان من مبدئهم ان يرقبوا ويمتحنوا وقد حسبوا الهندسة والعلوم الرياضية وسائط للقياس . ومما يجدر بالذكر انهم لم يعتمدوا فيما كتبوه في الميكانيكيات والسائلات على مجرد النظر بل على المراقبة والامتحان بواسطة الآلات وذلك ما صيرهم مبتدعي الكيميا وقادهم لاختراع ادوات التصفية والتبخير ورفع الاثقال ودعاهم الى استعمال الربع والاصطرلاب في علم الهيئة واستخدام الموازنة في الكيمياء مما اختصوا به دون سواهم والى صنع جداول للجاذبية النوعية في علم الهيئة كالتي اصطنعت في بغداد والاندلس وسمرقند وجعلهم يوجدون ايضا تحسينات عظيمة في قضايا الهندسة وحساب المثلثات واختراع الجبر واستعمال الارقام العديدة في الحساب وكان هذا كله من نتائج استعمالهم طريقة الاستدلال والامتحان ولم يقرروا في علم الهيئة لوائح فقط بل رسموا خرائط النجوم المنظورة في فلكهم ايضا مطلقين على ذوات القدر الاعظم اسماء عربية لا تزال ترد على كراتنا الفلكية وقد عرفوا حجم الارض بقياس درجة سطحها وعينوا الكسوف والخسوف ووضعوا للشمس والقمر جداول صحيحة وقرروا طول السنة وادركوا الاعتدالين ولاحظوا اشياء بعثت نورا باهرا على نظام العالم واختص علماء الفلك من العرب باختراع الآلات الفلكية لقياس الوقت بالساعات المتنوعة وكانوا السابقين في استعمال الساعة الدقاقة وانشأوا العلوم العملية »



عن ابي مالك الحارث بن عاصم الاشعري (رضي الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملان او تملأ ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) (رواه مسلم واحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي)(١)

الطهور المراد به هنا الفعل وهو التطهر وهو بضم الطاء على المختار وقال القرطبي الفتح هو المروي والطهور بالضم المصدر وبالفتح اسم لما يتطهر به فان كانت الرواية بالضم فالمعنى ظاهر لا غبار عليه وان كانت بالفتح فصحيح ايضا والمراد به المصدر او على حذف مضاف اي إستعمال الطهور والمراد منه الطهارة عن الحدث الاكبر والاصغر في البدن وعن الخبث في الملبوس والمكان أو التنزه عن المستخبثات الحسية والمعنوية كما سيجيء تفصيله

وقوله شطر الايمان اختلف في معناه فقيل ان المراد ان الاجر فيه ينتهي الى نصف اجر الايمان وقيل المراد بالايمان الصلاة قال تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اي صلاتكم والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر ولا يلزم في الشطر ان يكون نصفا حقيقيا وقيل غير ذلك ومهما يكن من الامر فانه تنويه عظيم بشان الطهارة في الاسلام

واعلم ان الطهارة لها اربع مراتب المرتبة الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات . المرتبة الثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام : المرتبة الثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة . المرتبة الرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الانبياء صلوات الله عليهم والصديقين

وكل رتبة من هذه الرتب لا تنال الا بعد تحصيل التي قبلها فلا ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم

---

١) راوي هذا الحديث الشريف هو ابو مالك الحارث بن عاصم الاشعري رضي الله عنه وهو من اصحاب رسول الله روى عنه جابر بن عبد الله وغيره من الاعلام مات في خلافة عمر بن الخطاب مطعونا هو ومعاذ وابو عبيدة وشرحبيل في يوم واحد ثالث ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة

وعمارته بالخلق المحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ من طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات ولن يصل الى طهارة الجوارح عن الاثام مالم يطهر الظاهر عن الاحداث والفضلات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه

وللشارع عناية بالطهارة حتى جعلها نصف الايمان وجعل اهلها من المحبوبين لدى الرحمن قال تعالى (والله يحب المطهرين) وقال (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) فالطهارة من الدين بل هي أساس الدين وهي كما تكون حسية في الجسم والثوب والمكان تكون معنوية في القلب والآداب والاخلاق ولا قيمة للطهارة الحسية ما لم تصحبها الطهارة المعنوية حتى يتفق ظاهر المسلم مع باطنه وبطهارة الظاهر والباطن يكون المسلم رحمة وخيرا ومصدر بركة واحسان

(النظافة الحسية) للنظافة الحسية اثرها الفعال في صحة المسلم وقوته وكمال عقله وتمام نفعه وكل امة لا تقوم الا على القوة ولا قوة الا بالصحة كما يقولون العقل السليم في الجسم السليم ولا صحة الا بالنظافة والطهارة . والطهارة تكون بالماء الصافي قال تعالى (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان) وقد امر الشارع الحكيم ان يكون المسلم طاهر الجسم والثوب وكل ما يتصل به ما استطاع الى ذلك سبيلا واثنى على المبالغين في تطهير انفسهم وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ترك التطهر من البول كما يفعله من لا خلاق لهم ولا دين عندهم وهؤلاء صحتهم في الغالب في تاخر واضمحلال زيادة على ما هم عليه من الوسخ والقذارة

روي ان النبيء صلى الله عليه وسلم مر بالقبور فسمع صوت انسانين يعذبان في قبريهما ولم يسمع هذا الصوت من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم فقال عليه الصلاة والسلام حين سمع هذا الصوت انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اي يعذبان في امر هين سهل بحيث لو فعلاه في حياتهما لكان هينا عليهما بلى انه كبير اي جرمه عظيم كان احدهما لا يستتر من بوله اي لا يبالي بما يصيب جسمه من بوله لتركه الاستنجاء وكان الاخر يمشي بالنميمة وقال صلى الله عليه وسلم (عامة عذاب القبر من البول فاستنزهوا من البول) وقال عليه السلام (اتقوا البول فانه اول ما يحاسب عليه العبد في القبر) ولهذا نهى الشارع عن البول او التغوط في الطرقات او في الامكنة التي يجتمع فيها المسلمون او في ظل شجرة او جدار يجلس فيه الناس فذلك مما لا يليق بمن ينتمي للاسلام لانه ينافي المروأة فوق ما فيه من ايذاء المسلمين لما ينبعث من البول من الرائحة الكريهة وما يتولد عن ذلك من الديدان (والميكروبات) القاتلة وهذا هو الضرر الكبير والشر المستطير وقد قال صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) فانظر كيف كانت

هذه القوانين الصحية المعمول بها في الاعصر المتاخرة عند الامم المتمدنة كانت قوانين شرعية قبل ان تكون قوانين بلدية عصرية

ومن المعلوم ان الصلاة التي هي عماد الدين وركنه المتين لا تصح الا مع طهارة الجسم والثوب والمكان

(اقسام الطهارة) والطهارة الشرعية قسمان صغرى وكبرى فالصغرى هي الوضوء وهو يكون بغسل جميع الاطراف الظاهرة من الجسم المعرضة للغبار والتراب والحشرات فغسلها يزيل ما يعلق بها ميؤذي الجلد لو بقي فوقه والامراض الجلدية تنشأ في الغالب من الوسخ الذي يختلط بالعرق فتنشأ عنه البثور وغيرها فالوضوء اكبر نعمة على المسلمين تدل على كمال عناية الشارع الحكيم بالنظافة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين)

وقد حث الشارع على الاسباغ في الوضوء وعلى الاحتفاظ بالوضوء وعلى التوضيء لكل صلاة مبالغة في ان يكون المسلم دائما على نظافة تامة وطهارة مستمرة فلا يصيبه اذى غبار ولا وسوسة شيطان قال عليه السلام (من توضأ على وضوء كتب له عشر حسنات) وقال (لن يحافظ على الوضوء الا مؤمن) وقال بعض السلف الوضوء على الوضوء نور على نور وقالوا الوضوء سلاح المؤمن فالمؤمن المتمسك بدينه السائر على منهج نبيه يكون دائما على طهارة فتراه وضيء الوجه بهي الطلعة جميل المنظر يعلوه النور وهو نور على نور . وقد حث هذا الدين الحنيف على نظافة الاسنان فسن السواك في كل وضوء وعند كل صلاة وعند الذكر وقراءة القرآن وعند الاستيقاظ من النوم وعند تغير الفم مبالغة في تطهير الفم مما قد يعلق بالاسنان واللثة من بقايا الاكل التي لو تركت لغيرت رائحة الفم واثرت في الاسنان فتهدمها تهديما وتقتلعها من جذورها وذلك يؤدي الى ضعف المضغ فتتضرر المعدة وتنشأ عن ذلك امراض كثيرة كعسر الهضم والامساك وضعف البصر والصداع حتى ارجع الاطباء الامراض الباطنية كلها الى مرض الاسنان وبالسواك يامن المسلم هذه الشرور ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل وضوء وقال عليه الصلاة والسلام السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ولهذه المصلحة امر الدين بازالة زوائد في الجسم يضر بقاؤها وهي المشار اليها في حديث خمس من الفطرة الاستحداد وهو الحلق بالحديدة وهي الموسى والختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظافر حتى يكون المؤمن على اكمل الحالات واحسن الصور واجمل المناظر

واما الطهارة الكبرى فهي الغسل وتكون من الحدث الاكبر وهو تعميم الجسم بالماء وفائدته ازالة افرازات يخرجها الجسم في بعض الحالات بحيث تضعفه لو بقيت عليه مع ما فيه من انعاش الجسم وتغذيته وتقويته ولولا الغسل لانبعث من الجسم رائحة كريهة تؤذي صاحبه وغيره ولما فيه من الفوائد الصحية جعلها الدين الاسلامي فرضا وسنة في مواضع كثيرة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام ودخول مكة والوقوف بعرفة حتى يكون الانسان في المجتمعات العامة على نظافة تامة فلا يؤذي من يجتمع به ويجاوره ويجب غسل الميت زيادة في التطهير ومبالغة في التنظيف حتى لا تكون به اقذار تضر حامليه ، فاي دين هذا الدين الاسلامي يبالغ في الطهارة والنظافة حقا انه لدين الطهارة ومما يتصل بذلك نظافة المنازل والبيوت فان المنزل هو المأوى الذي ناوي اليه بعد اعمالنا ونسكن اليه عند راحتنا ونومنا فاذا كانت نظيفة عاد ذلك بالخير والصحة لنا ولابنائنا وان كانت وسخة قذرة كانت شرا على ساكنيها وداء ويلا للقاطنين فيها فتجب العناية التامة بالمنازل فتنظف يوميا بالكنس والمسح وازالة الغبار من الجدران والنوافذ حتى لا تاوي اليها الحشرات مما يضر بالصحة ويقلق الراحة

كما يلزم نظافة الاغذية قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون) فيحرم تناول الاغذية النجسة كالدم والخمر والخنزير والميتة وما فسد من الاطعمة فالمعدة بيت الداء وما فسد من الاغذية مجلبة الأدواء

وبعد فقد علمنا من هذا كله ان الدين الاسلامي دين الحضارة والنظافة دين العفة والطهارة دين المحافظة على الصحة دين البعد عن كل رجس ودنس اما ما نراه من تهاون بعض المسلمين في امر النظافة وعدم العناية بشان الطهارة في انفسهم وابنائهم وكل امورهم المنزلية فهو ليس من الدين والدين بريء منه قال صلى الله عليه وسلم (ان الله طيب يحب الطيب) وقال تعالى (ان الله يحب المتطهرين) فديننا ايها المسلم هو دين النظافة والطهارة وهما من شعائره الظاهرة وخصائصه الواضحة لكن مع الاسف الشديد نجد غيرنا يعنون بالنظافة ويعطونها حظا عظيما من اهتمامهم في كل مظهر من مظاهر حياتهم بينما نحن لا نقيم لها وزنا ولا نعطيها مثل تلك العناية ولا ذلك الاهتمام

ان النظافة لا تكلف المرء كبير نفقة ولا عظيم مشقة فالماء كثير وهو ميسر لكل طالب وقطعة صابون لا تساوي اكثر من فرنكين اثنين تكفي لتنظيف ملابسه وجسمه الا ان الاسلام نظيف فتنظفوا فالدين الاسلامي لم يترك جهة من جهات النظافة الا طرقها وحض على

التمسك بها في الجسم والنفس والمسكن والملبس والافنية والساحات والسبل والطرقات مما لا يدع مجالا للشك في انه دين النظافة والطهارة

(الطهارة المعنوية) الطهارة المعنوية ترجع الى نظافة القلب والقلب كما قدمنا في حديثنا السابق ملك الجوارح وهو المسيطر عليها فمتى حسن القلب حسنت افعال الجوارح ومتى قبح قبحت ونظافة القلب تكون بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة والعلم النافع فبذلك تتنزه الجوارح عن المعاصي والقبائح وتنصرف الى الطاعات والمصالح والعجب ممن يعنى بنظافة ظاهره ويهتم بتنسيق هندامه ومنظره وباطنه مملوء بالاقذار والاخباث الخلقية وجوارحه مرسلة في الشرور والاضرار بالمسلمين والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده فهؤلاء الذين يحسنون ظواهرهم بانواع الزينة وباطنهم في ظلمات بعضها فوق بعض وهم على جهل بدينهم الذي ينتمون اليه هؤلاء محجوبون من ربهم بعيدون عن آداب دينهم بفساد اعمالهم وكثير ما هم

وقوله في الحديث والحمد لله تملأ الميزان معناه انها تملأ ميزان الحامد لله تعالى حسنات والمقصود بيان عظم اجرها وكثرة ثوابها وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الاعمال وثقل الموازين وخفتها قال تعالى (فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية) وكذلك قوله وسبحان الله والحمد لله يملآن او تملأ ما بين السماء والارض وسبب عظم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والافتقار اليه وقوله والصلاة نور معناه انها تمنع صاحبها من المعاصي وتنهي عن الفحشاء والمنكر وتهديه الى الصواب كما ان النور يستضاء به وقيل انها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة وقوله والصدقة برهان معناه انه يفزع اليها كما يفزع الى البراهين فان العبد اذا سئل يوم القيامة عن ماله اين صرفه فيقول تصدقت به كانت له صدقاته برهانا على صدقه وهي حجة على قوة ايمان صاحبها وقوله في الحديث والصبر ضياء معناه ان الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئا به مهتديا مستمرا على الصواب . وقوله والقرآن حجة لك او عليك معناه انك تنتفع به ان تلوته وعملت به والا فهو حجة عليك وقوله . كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها معناه ان كل انسان يسعى لنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته له فيعتقها من العذاب كما قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) ومن يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها اي يهلكها وقنا اللهم للعمل بطاعتك وجنبنا ان نوبق انفسنا بمخالفتك

محمد الطاهر بن القاضي .

في حفل جمعية الزيتـــونيين

المحاضرة التي القاها العلامة الاديب الشيخ الصادق البليش المفتي الملحق بوزارة العدلية

« عن جرير قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة »
« الوداع استنصت الناس ثم قال لاترجعوا بعدي كفارا يضرب »
« بعضكم رقاب بعض »

ايها المسلمون

يا رجال العلم ويا حماة الدين .. ويا تباع محمد وانصار التمسك بعروته الوثقى وحبله المتين . بارك الله لكم هذه الاريحية الجليلة . والعاطفة السامية النبيلة . عاطفة التعلق باذيال منقذ الخليقة من وهدة سقوطها .. والمربي البشرية ومهذب اخلاقها .. واستاذ الانسانية وقائدها الى اسمى مراتب الكمال . وداعيها الى التخلق بزكي الاخلاق وجميل الخلال. ذلك الانسان الكامل .. ألكامل في كل شيء .. في شرفه .. في خلقه .. في مبادئه .. في كل معاني الكمال

ذلك المثل الاعلى في كل ناحية وفي كل مضمار . وقبلة الاصلاح - العالمي المتوجهة نحو تعاليمها كافة الانظار . ومنبع الفضائل المتفجرة عن معين عذب زلاله زواخر البحار ودوافق الانهار

هذا الرسول الاعظم والنبيء المرشد الاكرم . الذي نتشرف اليوم بالاحتفال بذكراه : ونجتمع ها هنا لاظهار اخلاصنا في التعلق بذاته . وقوة ايماننا به وبرسالته . وشدة تمسكنا بمبادئه : هذا الرسول الذي اذا قام فالدنيا مجر رماحه وان قال فالدنيا عيون وسمع : لحري بكل مسلم بل بكل انسان ان يعترف بماله على البشر من جليل المزيا . وان يقدر لجنابه حق التقدير انقاذه الانسانية مما كانت تتخبط فيه من الويلات والرزايا . جدير بنا ان نحتفل بذكرى محمد صلى الله عليه وسلم وان نقيم لذلك المهرجانات والمواكب وان نبالغ في هذا الاحتفال . ونبالغ.. ونغالي.. ونهتز به سرورا وحبورا ولا نكاد مهما بالغنا : ومهما بلغنا من الجهود ان نصل الى عشر معشار واجب التقدير لمزية واحدة من مزاياه على افرادنا وعلى مجتمعنا في عاداتنا وفي تقاليدنا وفي كل شيء له تعلق بمعاشنا ومعادنا

جدير باحتفال ذكرى الرسول صلى الله عليه وسلم ان يزدان باستعراض مشهد من مشاهد دعوته . واستذكار موقف من مواقف ارشاده لامته ، وتشخص طريقة من طرق هديه لاهل ملته

اي مشهد اجل ، ام اي موقف اعظم ، ام اي طريقة ابهر من وقوفه صلى الله عليه وسلم في اعظم جماعة اسلامية ، في اعظم موسم ديني ، في اعظم بقعة من بقاع الارض.

وقد حكى جابر بن عبد الله وصف الخروج لهذا المشهد على ما رواه لنا الامام مسلم في صحيحه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ، ثم اذن في الناس في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس بان يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى اتينا ذا الحليفة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصواء حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت الى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القرءان وهو يعرف تاويله وما عمل به من شيء عملنا به .

في وسط هذا المشهد العظيم . وبين يدي هذا الملا الكريم . مع من انضم اليه ممن قصد البيت العتيق . وتوجه اليه مباشرة رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق . يقف محمد صلى الله عليه وسلم ليبث اعظم الاصول الدينية ، ويذيع اسمى المبادي الاجتماعية ، ويبلغ اقدس القواعد الخلقية ، ويامر بابلاغها الى من لم يشهد ذلك المجمع ، ولم يكتب له حضور ذلك المؤتمر الاقدس الارفع

هذه الاصول وهذه المبادي وهذه القواعد هي المنجلية في خطبته المشهورة ، ووصيته المعروفة المأثورة المختصرة في رواية البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : « يايها الناس اي يوم هذا قالوا يوم حرام . قال فاي بلد هذا . قالوا بلد حرام . قال فاي شهر هذا . قالوا شهر حرام . قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا »

يا لها من روعة ويا له من جلال ، رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء يعلن في هذا المشهد العظيم شدة اصل تحريم النفس ومبدا حرمتها ، ويذكر قاعدة حفظ الاموال والاعراض ولزوم عصمتها ويبين خطر ذلك باجلى بيان ويضرب له اوضح الامثال مبالغة في التبيان

رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المشهد العظيم يبلغ الناس اخطر بلاغ لتأكيد اخطر القواعد الاجتماعية ، وامتن المبادي النظامية للحياة الانسانية . ويشهدهم على انفسهم : الا هل بلغت . الا هل بلغت - فيقولون نعم يا رسول الله - فيشهد الله عليهم بذلك : اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد ، ويامر - وامره متبع - بان يبلغ الشاهد الغائب قرب مبلغ اوعى له من سامع

في هذا المشهد العظيم ووسط ذلك البحر الزاخر من المسلمين ينزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم باعظم بشرى له ولامته ، وانفس تحفة لمحمد واهل ملته ، بشرى اكمال الدين ، واتمام النعمة على المؤمنين . فينزل الله تعالى في تسجيل هذه البشرى وتابيدها لهذه الامة قرءانا مبينا ، فتتردد بين عرصات ذلك المشهد « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا »

يا لها من بشرى يتلقاها عموم المسلمين ، ويا لها من مكرمة يمتاز بها اهل هذا الدين ، ويا له من عيد يتكرر ويتجدد ، وذكرى تتوالى كلما اجتمع المسلمون لفريضتهم بذلك المشهد :

- اكمال الدين ... واتمام النعمة -

الدين - الدين وما ادراك ما الدين .. دين الاسلام الذي ارتضاه لنا الرب من بين اديان البرية دينا واكمله لهذه الامة . واتم به على محمد وامته جليل النعمة .. اكمله الله لامة محمد .. وهل ذلك الا دليل على ما صارت تمتاز به هذه الامة من ميزات الكمال ، وما اصبح متوفر فيها من شتى المحامد وكريم الخلال . اذ قاعدة التناسب الكوني لا تسمح بان يعهد بالكامل الى الناقص ، ولا يوكل لغير اهل الكمال تطبيق مبادي هذا الدين الكامل الخالص . اذن فامة محمد قد بلغت قمة الكمال فارتضاها ربها لدين وارتضى لها دينا بلغ الحد الاقصى من مراتب الكمال واحكم لها بذلك بناء هيكل مجدها على امتن اساس ، واعلن القرءان ذلك في آية كنتم خير امة اخرجت للناس

فما اجدر كمال هذه الامة بان لا يعتوره اي خلل او زلل ، وما اجدر هذه الامة بان تحافظ على كمالها من ان يتزلزل اركانه اي زيغ او خطل ، هذا الكمال الذي اهل الله به المسلمين لاكمل دين . حري بالمسلمين ان لا يرجعوا فيه على اعقابهم فينقلبوا خائبين . حري بهم ان يتمسكوا به الى ابعد حد . وان لا يخضعوا الى قاعدة - الشيء اذا بلغ الحد . تهيا للرجوع الى الضد

ولعل هذا هو ما جعل محمدا صلى الله عليه وسلم وهو الذي بعثه الله في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين : وهو الذي يقول الله في عطفه على امته لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رءوف رحيم . قلنا لعل هذا بعد ما جعله صلى الله عليه وسلم يهتم بامر امته : ويعز عليه رجوعها على اعقابها : ويحرص على بقائها على كمالها الخلقي وكمالها الديني فيقف في ذلك المشهد العظيم . ووسط ضوضاء التهليل والتكبير والتحميد . وجلبة التقديس والتلبية والتسبيح والتمجيد فيقول لجرير .. وما ادراك ما جرير ... جرير بن عبد الله الذي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم . ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » ووجهه في مائة وخمسين فارسا من احمس الى غزوة ذي الخلصة ذلك البيت الخثعمي الذي كان يعبد به احد انصاب الجاهلية ويسمى الكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقضى على شوامخ هياكله وبنائه . وحرق معالمه حتى تركها كجمل اجرب في سواد قطرانه . هذا الصحابي الجليل يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الحفل الحفيل

ــ استنصت الناس ــ

نعم لان البلاغ خطير : والامر جسيم : ويجب ان تعيه القلوب وينفذ الى كافة المسامع ويبث في كافة المحافل وتتلقاه سائر الاندية والمجامع ـ وما يكاد يهدا ذلك الضجيج . من الحجيج وترهف الاذان . لتلقي البيان ـ حتى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم

لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض

تبارك الله ما اجل هذه الموعظة وما اروعها ، وما احكم هذه البلاغة النبوية وما اجمعها ، كلمات قليلة ، جمعت في مطاويها معاني كثيرة جليلة فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول ها قد بلغتكم اقصى مراتب الكمال واكمل الله لكم دينكم فلا ترجعوا على اعقابكم ... وها قد اتم الله عليكم نعمه فلا تكفروها وعضوا على دينكم بالنواجذ واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون

اذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم ، تمسكوا بتعاليم هذا الكتاب وتفقهوا بحكمته .. واتعظوا بوعظه .. فذلك هو ملاك التقوى . ولكل فلاح ذلك هو السبب الاقوى

اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور . حافظوا على تضامنكم وتحالفكم ضمن هذا الميثاق الالهي الذي واثقكم به ربكم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ولا تفصموا رابطته ولا تحلوا عراه . فمن خرج عن جامعة هذا الميثاق فقد باء بالخسران في دنياه واخراه ــ

اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، دوموا

على هذا التآلف وبالغوا في تمسككم بوحدتكم الى اقصى حد . وكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد

لا تكفروا هذه النعم الجليلة فانكم ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرض لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم . وهو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ، ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا

لا تعدلوا عما انتم عليه الآن من هذه الحالة الكاملة .. الكاملة .. في نفوسكم .. الكاملة في دينكم .. الكاملة في معنويتكم .. ودوموا عليها ولا تفارقوها لا بعد موقفي هذا في حياتي . ولا بعد فراقي لكم بمماتي . فاني اخاف عليكم ان عدلتم عن ذلك ورجعتم على الاعقاب ، ان تهلكوا هلاكا محققا كهلاك ضرب الرقاب

وهلاك التقاطع والتنافر والتخاذل ، اخطر على الامم والافراد من هلاك التقاتل

وفقد الامة معنويتها وما تتمتع به من ميزات الكمال . اخطر عليها من ذريع الاجتياح وفاتك الاستئصال

لذلك ورد التحذير على لسان الشريعة من مخالفة هذه المبادي والاعلان به في اعظم مشهد اسلامي بابلغ تشنيع ، واشد تبشيع

وهل اشنع على المسلم من ان يلصق به وصمة الكفر او يحشر باي ملابسة كانت في عداد الكفار ؟ وهل ابشع في نظر المؤمن من ان ينسب الى كفر ما او ينسب اليه كفر ما وهو الذي يكره بغريزته الايمانية ان يعود الى الكفر كما يكره ان يلقى به في النار ؟

فهذا عرض وجيز لاقدس مشهد اسلامي عظيم واروع وصية نبوية جليلة . عرضناه عليكم بما يناسب هذا المقام من الاختصار والقيناه اليكم بمناسبة هذه الذكرى النبوية الجميلة . لنتشخص بهذه المناسبة المباركة مشهد اعلان اكمال هذا الدين الحنيف على هذه الامة . وما حبانا به المولى جل جلاله بهذا الدين العظيم وبهذا النبيء الكريم من اتمام النعمة . وما ارتضاه الينا من الاسلام دينا لنزداد تمسكا بمبادئه وتعلقا بها ولا نعود على مبرم غزلها بالنقض ، ويتحقق منا الغرض من وصية ـ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ـ والسلام عليكم ورحمة الله .



الحجاب من نواميس العمران

واسباب التناسل

ان من القى نظرة على هذا الكون متبصرا باحوال الخليقة اولها وآخرها مستمدا مما احاط به حسه في اهل عصره ومصره او مما تلقفه من بطون التواريخ وتضاعيف القصص في احوال الاجيال الغابرة والامم البائدة بصر بان الحجاب سياج الخليقة وكنفها الاحمى وجنتها الواقية

ذلك ان الله تعلى قد طبع كلا من الزوجين الذكر والانثى على ما ركبه في مزاجهما من رغبة متبادلة باعثة على الاتصال فالازدواج فالقرار فالسكون (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها) وبذلك توفر من اسباب العمران ما توفر فتبارك الله احسن الخالقين

ثم بما تاصل في النفوس من النزوع الى الفوضى واجابة داعي الهوى المفضي الى مفاسد وشرور يجرف سيلها ويعظم في الخليقة ويلها شرع الله تعلى ما شرع من النظم والاحكام سدا لذرائع الانحطاط والتدهور والافتتان وابقاء على الفضيلة ومكارم الاخلاق وتحفظا بوسائل الصون والعفاف فشرع لنا سبحانه فيما شرع من الدين الحجاب بما فيه من تربية وازع الحياء الذي هو شعبة من الايمان وخير كله وخلق الاسلام

١) اذا تمهد هذا علمت أن السبب في تفاضل الامم الاسلامية في التمسك بالحجاب تابع لتفاضلهم في التخلق بخلق الحياء فان الامة اذا لقنت ذلك في تربيتها الاولى وارتكزت عليه اصول تعاليمها بالغت في التحفظ بالحجاب والوصاية به فلن يضرها دعاة السفور على وفرتهم وتزيينهم سوء عملهم

ومتى قل حياء شعب من الشعوب الاسلامية كالشعوب التي اصطلمتها المدنية الغربية وامتلكت عليها عواطفها ونسيت قوميتها فاحبوا الغرب والغربيين حبا جما زهدوا في الحجاب وزين لهم شياطين الغواية السفور بانه شارة من شارات التمدن والحرية وان مروءة الاوانس مصونة بسياج

١) هذا واقع موقع الجواب عن سؤال كان وجه الي من طرف بعض الكتاب ببعض الصحف السيارة محصله ما بال الشعوب الاسلامية مختلفة في امر الحجاب

الحرية فتنجح فيهم مفعول اولائك الاشرار وانما تنجح المقالة في المرء اذا صادفت هوى في الفؤاد

هذا هو السبب في تفاضل الامم في الاحتجاب ونبذه والا فدواعي الاهواء النفسية والميل الى التهتك واتباع الشهوات موفور في جميع الشعوب والاجيال من هاته الامة كغيرها من الامم وان النفس لامارة بالسوء

الا ان من سبقت لهم من ربهم الحسنى خافوا مقام ربهم ونهوا النفس عن الهوى فحضرهم من خلق الحياء ما صان لهم المروءة واطفأ عنهم نار الفتنة واسدل عليهم جلباب الحياء فاستقاموا كما امروا

والاخرون غلبتُ عليهم شهوتهم وشقوتهم فهتكوا الحجاب واتوا بيوت الغي والرذيلة من كل باب فتغاضى بل رغب في هتكه ذكورهم سعيا الى التمتع بالسفور والتبرج فبرزت نساؤهم سافرات متهتكات مكسيات عاريات فحلت الويلات وفشت الضلالات وتتابعت المنكرات وكل ما هو آت آت فيا لله للمسلمين من شرور تتقطع لها القلوب حسرة وتنهمر لها العيون عبرة

واليك ايها المستشرف لاكتناه التحقيق سراجا وهاجا مشرقا بنور الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية حتى تكون آمنا بالله من التدهور في ثنيات الطريق معتصما بحبل الله الوثيق

ذلك ان علماء الشريعة مجمعون على ان وجه المراة وكفيها ليس بعورة كما انهم مجمعون على وجوب ستر الوجه عند خوف الفتنة وتوقعها

اذا تبينت هذا فاعلم انه لا صحة لزعم من يزعم ان آية الحجاب خاصة بازواج النبيء صلى الله عليه وسلم لصراحتها في العموم الشامل لهن ولغيرهن من نساء المؤمنين

وآية الحجاب قوله سبحانه (يايها النبيء قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن(١) ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)

ارشدت الآية الكريمة الى كيفية احتجاب الحرائر وهي ادناء الجلباب الذي هو ثوب اوسع من الخمار وقيل هو الرداء على ما كانت عليه ملابسهن عند نزول الوحي والتشريع كما انهن لهن كيفية اخرى في الاختمار ارشد اليها قوله سبحانه (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) لما في ذلك من احكام الحجاب بستر الوجه والنحر والصدر

---

١) اخذ بعض العلماء من قوله سبحانه ذلك ادنى ان يعرفن الاية استحباب اتخاذ العلماء لزي خاص يميزهم عن السوقة ويكون لهم شعارا

ثم في آية الحجاب التي تلونا وراء افادتها لكيفية الاحتجاب الاشارة الى حكمة مشروعيته وهي تمييز الحرائر عن الايماء اللاتي هن عرضة لاذاية الصعاليك واهل الدعارة فانهن انما يتزرن اتزارا وليس من خيمهن التجلبب او الارتداء والمحتشمة منهن تتلفع بفضل مئزرها لا غير

لم تتلفـع بفضل مئزرهـا ❀ دعـد ولم تسق دعـد في العلب

وفيما كانت عليه الايماء من الاحتشام شهادة لما اسلفنا من ان الحجاب منبعث عن غريزة الحياء فانهن على ما هن عليه من الابتذال وقلة المروءة لهن من الحياء بقية تبعثهن على الاحتجاب في الجملة وبعض المئزر

ومما ينبئك بانبعاثه عن خلق الحياء ايضا وانه من الفطرة ما نطقت به اشعار العرب في جاهليتها الاولى من كل ما دل على اتخاذهم للخمر والخدور والهوادج ملازمة للحجاب في الضعن والاقامة فمن ذلك قول ام عمران بنت وقدان تحمس قومها وتهز من عطفهم

اذا انتم لم تطلبـوا بـاخيكم ❀ فذروا السلاح ووحشوا بالاقرق

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا ❀ نقب النساء فبئس رهط المرهـق

ومنه ما ورد للربيع بن زياد العبسي

من كان مسرورا بمقتل مالك ❀ فليـات ساحتنـا بوجه نهـار

يجد النساء حـواسرا يندبنه ❀ يلطمن اوجههن بالاسحـار

قد كن يخبئن(١) الوجوه تسترا ❀ واليوم هن برزن للانظـار

يضربن حر وجـوههن على فتى ❀ عف الشمـائل طيب الاخبـار

ومنه قول الاخر

اومت بعينيهـا من الهـودج ❀ لولاك في ذا العـام لم احجـج

ومنه ايضا

ويـوم دخلت الخدر خدر عنيزة ❀ فقالت لك الويلات انك مرجلي

ومنه ايضا

راين الغواني الشيب لاح بمـاظري ❀ فاعرضن عني بالخدود النـواضر

وكن اذا ابصرنني او سمعن بي ❀ سعين فرقعن الكوى بالمحـاجر

ومنه

ان تخرج الكاعب من خدرها ❀ يومك لا تذكر فيه الخفـاء

١) قف على اصل استعمال لفظ (التخبئة) في الاحتجاب الباقية الى اليوم في اللسان العامي بالديار التونسية

ومنه

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير

ومنه

وخمار غانية عقدت براسها اصلا وكان منشرا بشمالها

ومنه

واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب الخدور

ومنه

انسية بالنور قد برقعت فقلت ما احسن هذا الجنان

ومنه

جاءت مبرقعة فقلت لها اسفري عن وجهك القمر المنير الازهر

ومنه

وبيضة خدر لا يرام خفاؤها

ومنه

كم بدور في خدور المنحنى يستعير البدر منهن التحامل

ومنه

سمعتك تحكي من خييمات عالج عسى لك عهد بالخيام قريب

ومنه

ايام ليلى العامرية جارتي وخباؤها المضروب قيد عنان

ومنه

وفي الخدور بدور في لاحظها سحر وفي حسنها ماء ونيران

ومنه قول الحماسي عمر بن معديكرب

وبدت لميس كانها بدر السماء اذا تبدى

قال التبريزي اي برزت هذه المراة كاشفة وجهها ثم قال وانما فعلت ذلك اما للتشبه بالاماء حتى تامن السباء او لما داخلها من الرعب

ومثله

ونسوتكم في الروع باد وجوهها يخلن اماء والاماء حرائر

بل وهناك ما يشهد باطراده فيمن قبل العرب من الامم البائدة ففي التنزيل من قصص موسى وابنتي شعيب عليهما السلام وكذلك في كشف بلقيس عن ساقيها عند حسبانها الصرح لجة وفي قولة امراة العزيز للصديق عليه السلام (اخرج عليهن) ما يلمع اليه ويشهد بوجوده

ثم الحجاب من ذرائع غض البصر الذي اوجبه الله تعلى على الزوجين الذكر والانثى فانهن متى اجتمعن على الكيفية المقررة آنفا زهد الرجال في النظر اليهن ليأسهم مما يحاولون

اما اذا كان على ما عليه حجاب المحتجبات اليوم متخذا من فاخر الثياب منثن بانثناء القدود

شفافا عما وراءه فانه من الزينة التي امرهن الله تعلى باخفائها ونهاهن عن ابدائهـا وهو للعيون بل للقلوب جذاب وما اجدره بان يضرب عليه الحجاب.

هذا ومتى حال الحجاب بينهن وبين اذاية اهل الدعارة تهيأ لكل من الفريقين ان يتحقق بامتثال امر ربه سبحانه بغض البصر اذ قد صار الامتثال له بذلك ميسورا

فالحجاب اذا من مقتضيات غض البصر المامور به شرعا وكفى به دلالة على مشروعية الحجاب للعموم دون الخصوص.

ولعل دعاة السفور انتحلوا القول بالخصوص مما نقله العلامة النووي في شرحه على صحيح مسلم عن القاضي عياض رضي الله تعلى عنهم وقوفا عند صدر مقالته الاتية دون الاتيان عليها والاحاطة بها اتباعا لما تشابه منها ونص تلك المقالة قال القاضي عياض :

(فرض الحجاب ممـا اختص به ازاوج النبيء صلى الله عليه وسلم فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك لشهادة ولا لغيرها ولا يجوز لهن اظهـار شخوصهن وان كن مستترات الا ما دعت اليه الضرورة من الخروج للبراز قـال الله تعلى « واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » وقد كن اذا قعدن للناس جلسن من وراء حجاب واذا خرجن حجبن وسترن اشخاصهن كما جاء في حديث حفصة يوم وفاة عمر ولما توفيت زينب رضي الله عنها جعلوا لها قبة فوق نعشها تستر شخصها) انتهى

فمناط الاختصاص بهن رضي الله تعلى عنهن اطراد العزيمة في حجاب الوجه والكفين لاغير بحيث لا يكشفن ذلك رضي الله عنهن لشهادة او غيرها كما قدمنا وفي حديث الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتجبي منه ياسودة. دليل قاطع ونور من كلام النبوة ساطع لم يبق معه مجال لدعاة الاختصاص

ومن ادلة ذلك ايضا ما في الصحيح برواية احمد وابي داود والترمذي رضي الله تعلى عنهم عن ام سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة فاقبـل ابن ام مكتوم حتى دخل عليه وذلك بعد ان امر بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبـا منه فقلنا يارسول الله اليس اعمى لايبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميـان انتما السـتما تبصرانه اهـ

وجه الدلالة هو ان هذا الحديث وان كان خطابا للسيدتين ام سلمة وميمونة وهما من ازواجه صلى الله عليه وسلم الا انه قد علل فيه الاحتجاب بعلة طبيعية لها اثرها واطرادهـا فيهن على ما هن

عليه من الكمالات الخاصة بهن دون عامة النساء الامر الذي يدل دلالة مؤكدة على وجوبه في حق غيرهن من بقية النساء بقياس الاولى

وبهذا التحقيق تعلم ان هذا الحديث دال على وجوب الحجاب وجوبا عاما كآيته التي تلونا .

بقي منزع لطيف وهو انه صلى الله عليه وسلم قد سلك في جواب ام سلمة التسليم لحكمتين : الاولى اغتنام الفرصة لارشادها الى انهن ايضا منهيات عن النظر الى الاجانب والثانية عدم الخوض معها في شيء لا يهم في الوقت وهو ان العميان يدركون من الجمال ما يدركه البصراء فان لهم في ذلك نوادر مأثورة وحكايات مشهورة وحب الفتى بالسمع مرتبة اخرى

ومن تلكم الادلة ايضا ما في صحيح مسلم رضي الله تعلى عنه عن ام عطية رضي الله تعلى عنها انها قالت امرنا تعني النبيء صلى الله عليه وسلم ان نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور

وجه الدلالة ان العواتق جمع عاتق وانما سميت العاتق عاتقا لخروجها من الامتهان في الخدمة والخروج في الحوائج وذلك عندما تقارب البلوغ فلهاته التسمية دلالتها على ما للعرب في جاهليتهم من تمسك بالحجاب وعناية به

ولا يقال ان الحديث دال على خلاف المطلوب حيث امر صلى الله عليه وسلم باخراج العواتق والمخدرات لانا نقول ان ذلك مشروط بعدم خوف الفتنة كما نقل ذلك شراح الحديث عن عامة اهل العلم والمذاهب

قلت وانتفاء الفتنة هنا قد تحقق لامرين الاول افرادهن بمكان دون مكان الرجال تفاديا من الاختلاط المجرم على ما هو مقرر بمواضعه وربما توخى ذلك العرب ايضا في جاهليتهم قبل الاسلام ففي كتب السير انه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير يقلن

طلع البدر علينا ❊ من ثنيات الوداع ❊ وجب الشكر علينا ❊ ما دعا لله داعي

الثاني انهن في عبادة شانها انصراف الاذهان فيها عما سوى المعبود سبحانه فان خشوع القلوب كفيل بخشوع الجوارح سيما النساء فان لهن من التصميم في عامة امورهن والتوجه الكلي ما ليس لغيرهن

ثم مما يدل لوجوب افرادهن بالامكنة اول الامرين المذكورين ما في صحاح الترمذي وابن خزيمة وابن حيان رضي الله تعلى عنهم عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال (المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان واقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها). ويروى

عن ابن مسعود رضي الله تعلى عنهما انه كان يخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول اذهبن الى بيوتكن خير لكن

وبهذا وامثاله تتبين صحة قول العلماء رحمهم الله تعلى في حديث النبيء صلى الله عليه وسلم وهو قوله (صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد) انه خاص بصلاة الرجال دون النساء لان صلاتهن ببيوتهن افضل في حقهن من الصلاة فيما عداه حتى مسجده عليه الصلاة والسلام فقد روى ابن خزيمة عن ام حميد امراة ابن حميد الساعدي انها قالت للنبيء صلى الله عليه وسلم يارسول الله اني احب الصلاة معك (قال قد علمت انك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي) قال فامرت فبني لها مسجد في اقصى شيء من بيتها واظلمه وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز وجل فلهذا الحديث ايضا دلالته على عموم وجوب الحجاب

ثم لننزع الى الاستدلال على وجوبه كذلك منزعا عقليا عمرانيا وذلك بما محصله ان الله تعلى قد خلق الناس ذكورا واناثا من نفس واحدة ثم ذرأهم في بقاع الارض شعوبا وقبائل متفرقين بتفرق دواعيهم وما يسروا اليه وركب بحكمته الباهرة في نفوسهم من النزعات ما صير بعضهم حريصا على معرفة البعض باحثا عنه في طول البسيطة والعرض فذاك قوله سبحانه (يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) فانه بمقدار البعد الحاصل بين الفريقين تسمو الحاجات وتتضاعف الرغبات وتقوى الوحدة الجامعة بين الزوجين حتى اذا اتيح لهما ما اتيح من التلاقي والاجتماع ظهر منهما ما كان كامنا فيهما كمون النار في الزند من قوة امتزاج وتناسب فتناكحوا فتناسلوا فانجبول وسبحان من اعطى كل شيء خلقه وحقه

ومن القضايا المسلمة والحكم المأثورة قولهم (لولا الحرص لخربت الدنيا ولولا الشهوة لانقطع النسل ولولا حب الرياسة لبطل العام)

ومن ثم اباح الله تعلى ما اباح من تعدد الزوجات والسراري بما لا ينتهي الى عدد على ما تقرر

ثم ان لهاته الظاهرة ظواهر تؤكدها وشواهد صدق ترشحها وتؤيدها

فاما الظاهرة الاولى فهي ما وقع من التفريق بين آدم وزوجه عليهما السلام لما اهبطا الى دار التوالد والتناسل فان ذلك لحكم منها ان يفعل بهما الشوق مفعوله وتحضر انفسهما ما كمن بها من حب وانعطاف يؤكده بعد الشقه ويهون في سبيله اقتحام المشقه

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

واما الظاهرة الثانية فهي تحريم الشريعة لنكاح ذوي الارحام الا ما قد سلف في النشأة الاولى.

واما الظاهرة الثالثة فهي ما ورد في الشريعة ايضا من ندب وارشاد الى امر صحي عمراني وهو نكاح الغريبات دون القريبات فان ذلك من اسباب انجاب الاولاد واستقامة فطرتهم وكمال فتوتهم واعتدال امزجتهم وذلك قوله صلى الله عليه وسلم (اغتربوا لا تضووا) اي تزوجوا الغريبات كي لا يقع فيكم الضوى وهو الهزال

وهذا مما ادركته تجارب العرب فالشريعة فيه مؤكدة للطبيعة

ومما ينبئك بذلك قول شاعرهم

فتى لم تلده بنت عم قريبة فيضوى وقد يضوى رديد الاقارب

وقول الاخر ان بلالا لم تشنه امه لم يتناسب خاله وعمه

ومن يمعن في كلامهم يجد لذلك نظائر واشباها

واما تقارب الانساب في غير الانسان فهو على الضد الا ترى الى قول كعب في عذافرته

حرف اخوها ابوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليل

وبما اوضحنا تتبين ان الامر بالاغتراب في الحديث المتقدم امر ارشاد الى حكمة صحية عمرانية تناسلية والا فالشرع مبيح لنكاح ابنة العم ونحوها من القريبات ولله في خلقه شؤون.

الناصر الصدام

شهادة غريب

قال القس رودويل :

يجب الاعتراف بان القرآن جدير بالاهتمام لما حواه من النظريات العالية والارشادات القيمة فهو الروح الذي غير تلك الامة الجاهلة الى امة ذات مدنية زاهرة بسطت جناحيها على منطقة تحد غربا بآسيا وشرقا بحدود الهند فقد انقلب الرعاة البسطاء ما بين طرفة عين الى مؤسسي امبراطورية عظيمة مرصعة بالمدن الكبرى فهم الذين جمعوا المكاتب القيمة وهل من ينكر العظمة التي وصلت اليها الفسطاط وبغداد وقرطبه ودلهي .. (الى ان قال) ويجب ان لا تنسى اروبا انها مدينة لهذا الكتاب ولهذا النبيء بشمس العلم التي اطلت على ارجائها فقشعت ظلمات القرون الوسطى .

النقـــاب المتقلـــص

خرجت مبرقعة ولكن مالها … تسبي العقول بغنجها وبخالها

تغريك خرقتها بما تخفيه من … مرجانها وورودها ونبالها

تدعوك اما حركتها نسمة … بتعال متع ناظرا بجمالها

وتقلصت حتى بدا من وجهها … ما وهمها اخفاه يا لخبالها

فكان وجنتها احست حرقة … فغدا كمروحة خار دلالها

اتخذته اسود كي يزين بياضها … تبا لتركيب دليل ضلالها

أمن السداد خروجها غربية … والشرق منبت عمها بل خالها

كلا فلا شرقية تبدو ولا … غربية فانظر تذبذب حالها

قالت حضارة عصرنا تقضي بان … تسعى الغزالة في جوار غزالها

ترتاد اني تشتهي برشاقة … لا من يسيطر في لذيذ فعالها

ما العيش الا في حمى حرية … تمضي بها الحسناء في آمالها

حسنا ولكن ما مسوغ برقع … يغريك بالفحشاء في اهوالها

في مثل كف ليس يحجب تحته … عاج الثنايا اولما جريالها

اذ كل ممنوع حلا ولربما … طربت به الانذال دون حلالها

خلي نقابك يا مليحة واسرحي … بين الرياض وفي نعيم ظلالها

واسعي الى الاسواق سافرة ولا … تخشي بها التانيب من عذالها

لا تلفتي الانظار نحوك وامرحي … ليقال بنت الغرب في سربالها

اذ مثلهن تغص اسواق بهـ … ـن ولا يصبن من اعين بنصالها

هذي الحضارة يا فتاة تموهت … في ناظريك ابت غير منالها

فيها مجال غير ذا لسعادة … هلا دريت كبير حسن خصالها

لوذي بمكنون الحجاب ففيه لو … تدرين صون للفتاة وحالها

هو عفة فيها الوقار وحشمة … للغادة الحسناء انفس مالها

كوني بخدرك درة مكنونة … لا تبذلي الرقراق من سلسالها

ابقي على شرف يعز مناله … مثل الثريا في انتظار هلالها

لك من كتاب المسلمين وسنة … للنفس حقا منتهى آمالها

صفاقس — عبد الله الزناد

الاصلاح الاجتمـــاعي

مبـداي

« انتقد قبل ان تعتقد . فان علي ان افكر واقـول وليس عليـك الاعتقاد والقبول . وخذ احسن ماتلقى بقوة واشكر الله تعـالى عليه وادفع عني وعنك غبي وغيك بالتي هي احسن فاني لا اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله »

شرحت لي المجلة الزيتونية صدرهـا فاذا بي اراه محلى بنضيـد من يتيم در القول الحكـيم نضمت فرائده يد المبدع الحكيم جل جلاله بما اوحته الى قريحة الاستاذ سيدي محمد الشاذلي بن القاضي مديرها شكر الله تعالى سعيه فجرى به قلمه نورا يضيء السبيل سبيل الاصلاح الاجتماعي وما أصدق ما صدر به الاستاذ الجليل نضيده الدري حين يقرر بمشرق نوره « ان المجتمع التونسي « اجتاز في تطوره الاجتماعي مراحل متعددة حصلت من غير سابق برامج محكمة وضعت ليسير » « على مقتضاها ومن غير سن نظم صحيحة دعي الى اتباعها »

ولعلي لا اكون مخطئا اذا اردت بحول الله تعالى ان استدرك عن مشرق هذا النور ان المجتمع التونسي بصفته عضوا من الوحدة الاسلامية الحاضرة انما خضع في تطوره الاجتماعي الذي اجتاز مراحله على ذلك النحو انما هو خاضع لناموس اجتماعي قضى عليه بذلك نظرا لانه خاضع بحكم الطبع لما يسود تلك الوحدة التي هو عضو منها في اجتيازها لمراحل تطورها هي ايضا من غير سابق برامج محكمة ومن غير سن نظم صحيحة تدفع عنهـا ما احاط بهـا من منذ انشقاق عصا تلك الوحدة وتصدع قوامهـا

ولعلي بحول الله تعالى لا اكون مخطئا ايضا اذا قلت ان نفس الوحدة الاسلامية بصفتها عضوا من الوحدة الانسانية الحاضرة انما هي خاضعة ايضا في تطورها الذي تجتازه على ذلك النحو لطبيعة اجتماعية قضت عليها بذلك وقد فقد منها من ينيرها سواء السبيل في قوة عارضة وثبات تقيها من شرور الطبع الجامح والهوى الطليل ولم يجد ما سنت وظن انها سنته في حكمة واحكام لتلافي انشقاقها وتصدعها فلم يزدها الا تكالبا على الفساد والافساد والضلال والضلال واني لا ارى ان ما حل بتونسنا العزيزة في تطورها هو نفس ما تعانيه مصر والشام والعراق وغير مصر والشام والعراق من المجتمعات الاسلامية الحاضرة متاثرا جميعها في ذلك بما حاك بها من اشواك التقليد الاجتماعي في القديم والحديث حتى حاك الدروع التي افرغها عليها ابو وحدتها الاسلامية محمد رسول الله تعالى

بـاوهنها ولا خاضد يخضد تلك الاشواك في حكمة تقي تلك الدروع من شر مـا يشكوها .ؤمنا فقيامه بذلك لله وحده لا يبتغي فيه جزاء ولا شكورا واني لارى كذلك ان ما تعانيه هاته الوحدة الاسلامية من ذلك هو نفس ما تعانيه اروبا وامير كيا وغير اروبا وامير كيا من المجتمعات الانسانية متاثرة في ذلك بما حك بها هي ايضا من اشواك التقليد الاجتماعي الاعمى للهيئات الاجتماعية البائدة من قدماء المصريين واليونان والرومان وغيرهم مع مسابقة الهيئات الاجتماعية الحديثة بعضها لبعض في ذلك وفيما تحبذه منه من تعاليم وتقاليد واعمال لا تخلو ظواهرها من جميل خلاف ولا نطاسي نزيها يتجرد لخدمتها عن ميول العواطل والجنس فيكون انسانا يخدم لصالح الانسان رحمة للعالمين كما كان رسول الله تعالى محمد ومن سبقه من النبئين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

ولعل هذا هو السر في اختلاف الآراء في تحقيق مناط التقدم الاجتماعي فقال قوم انه مرتبط بالعادات والتقاليد وراى آخرون انه متصل بالتعاليم وحقق غيرهم انه رهن الاسرة والحياة الزوجية ونهوض المراة وظن نفر انه ثمر الآداب العامة والاخلاق واعتقد آخرون انه نتيجة القضاء والسياسة والاسعاف العام ومطاردة الاشرار وآمن فريق بانه نتيجة التعاون الحالي ونمو الثروة في مختلف طبقات الشعوب الى غير ذلك من آراء لا تعدو دعوى ترقية المستوى البشري بترقية معيشة العامل والصانع وتاسيس الجمعيات التعاونية والنقابات والتدين بدين الديموقراطيات

لقد وعدنا الاستاذ سيدي محمد الشاذلي بن القاضي فيما دبجه يراعه من ذلك بصدر العدد ١٠ العاشر من المجلد الخامس من المجلة الزيتونية بانه سيفرد مقالا خاصا ليبين لنا فيه ما يجب ان يقوم عليه الاصلاح الاجتماعي قياما يستاصل الداء الدفين مع بيان ما يجب في احكام وضع ما يجب وضعه لاصلاح المجتمع اصلاحا يغني عن تلك المسكنات الوقتية المبنية على الاعتبارات الوقتية

ولقد حاول الاستاذ اعانه الله ان يشرع في انجاز ما وعد به فنشره بخاتمة العدد ١١ الحادي عشر من المجلد الخامس من المجلة الزيتونية الفيحاء واقرر به ان الحياة الاجتماعية ليست رهينة سير الحوادث والايام وان مجرد سن القوانين والنظم الاجتماعية ليس بكاف لاصلاح المجتمع وترقيته وان اساس الاجتماع البشري هو احتياج الافراد ومخاوفهم وبقدر ما تتسع الحاجيات وتدفع المخاوف تكون درجة الهيئة الاجتماعية في الكمال او النقص ووعدنا بالعود لبسط نظريته في الموضوع فلننتظر ما سيفيضه علينا من حكمة يمن الله تعالى بها عليه ونساله جل شانه ان يلهمنا واياه التوفيق في ادراك ذلك

وفي انتظار ما سيلهمه الله تعالى اياه من بيان ينير به سبيل الهدى والعمل لتحقيقه ارى من واجبي ومن واجب كل قارئ ان يسابق الاستاذ رعاه الله تعالى في ذلك ببيان ما يراه في الشان تعاونا على البر والتقوى ورجاء ان نظفر بما يؤدي الى الاصلاح المنشود بحول الله تعالى

اما انا فاني :

كانسان خلق من امشاج كل منها ينازع اخاه في تكوينه وعمله وبقائه في دائرة التناسب والتناسق واحترام شخصية الفرد باحترام شخصية امثاله بما يجعل تلك الامشاج صالحة لتكوين شخصيتي الانسانية وتحضى امشاجي بنعمة الحياة والبقاء حين لا يبقى في منها ومن مواليدها الا الصالح في نفسه المصلح لاخيه المؤمن بخواصه وقيمتها ايمانه بحريته واستقلاله في دائرة لا تعطل من اخيه خواصا وقيمة وحرية واستقلالا بل تجعله جوهرا سليما صالحا لان يستند اليه استنادا متناسقا يكون من شخصيتي ذاتية انسانية مؤمنة بخواصها وقيمتها وبحريتها واستقلالها بالف وتؤلف لتستند الى مثلها من الذوات الانسانية فيكون جميلها الوحدة الانسانية المؤمنة بخواصها وقيمتها وبحريتها واستقلالها الصالحة للخلود والبقاء

وانـي :

كمسلم يعتقد واثقا انه انما خلق هذا الخلق البديع المتركب من امشاج لا يقتضي ظاهر طبعها وما فطرت عليه غير الجلاد والتناحر لبقاء الاصلاح الجدير بان يكون خليفة الله تعالى في ارضه آية من آياته البينات وحكمة من حكمه البالغة مؤمنا بما اودعه الله تعالى فيه من خواص ارادته وقدرته مقدرا نعمته فيما يريده مني من القيام بواجب خلافته لاصلاح خلقه وتدبير ملكه فلا اضل عن سبيله وقد هداني ولا ارجو سواه وقد اغناني ولا اخاف غيره وقد اجارني وحماني ولا افرح بما اوتى لزواله بعد حين ليخلفه عني بما عنده وهو خير وابقى ولا احزن على ما فاتني فارحت من مسؤلية معاناته لان يعوضني منه ازكى وانقى ولا اهن وانا به تعالى الاعلى والاقوى ولا انزل وانا به جل شانه الاعز والاحمى حرم الله تعالى على نفسه ظلمي فلا اظلم نفسي بمجاوزة حدوده وحدودها تسفلا واعتلا . عساني ان اكون لديه الخليفة الفاعل المحسن فيما عمل لان يكون به كل يوم في شان يأتي بخلق جديد يناسبه ويؤانس نفسه مناسبة ومؤانسة تكون من امشاج البشرية السوية وحدة انسانية فاضلة مقدسة منزهة تؤوب اليه مؤمنة بقيمتها واثقة بكرامتها حرة مومنة بحريتها قائمة بنفسها مستقلة بذاتها راضية عنه مرضية منه صالحة للخلود والبقاء .

سالم بن حميدة

(للبحث بقية)

العالم الاسلامي

سكة الحديد الحجازية

كان من ابرك نتائج الزيارة التي قام بها للحرمين الشريفين حضرة صاحب الفخامة شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية والاجتماع التاريخي الذي ضمه الى عاهل البلاد العربية الملك عبد العزيز آل سعود ان قررت الحكومة السورية رصد مليون من الجنيهات لاصلاح سكة الحديد الواصلة بين المدينة المنورة ودمشق وبسريان هذه البشرى تجددت مشاعر وعواطف في نفوس جميع المسلمين بين جاوة وغربي افريقيا هي بعث تلك الاحساسات التي كانت تهزهم سرورا وابتهاجا منذ احدى واربعين سنة لما تحرك القطار الاول على هذا الخط بين دمشق وعمان سنة ١٣٢٣ ثم صدمت هذه العواطف البهيجة صدمة عنيفة بحوادث الحروب وثورة البلاد العربية بقيت بعدها مخدرة راسبة في قرارات النفوس حتى حركها نبأ اليوم الذى هو بكر من ولائد الوحدة العربية

فقد اكتسى هذا الخط الحديدي من نشاته صبغة دينية اجلته في مظهر سمو واعتبار لنظر عموم المسلمين منذ عزم على انشائه خليفة الاسلام السلطان عبد الحميد الثاني باشارة عضده المتين احمد عزت باشا العابد من عرب الشام الذي كان رئيس المابين الهمايوني ومبتكر المشاريع العمرانية الاقتصادية الهامة بالسلطنة العثمانية في عهد عبد الحميد توفي بمصر سنة ١٣٣٨ ولقي هذا العزم اقبالا وتاييدا وثناء في كافة الأوساط الاسلامية لامرين هامين كان يرجوهما العالم الاسلامي من وراء انجازه

الامر الاول ـ هو تقوية النفوذ العثماني في الحرمين الشريفين وايجاد طريق يضمن سهولة نقل القوات العثمانية من اطراف السلطنة الى البلاد الحجازية لقمع حركات العدوان وقطع دابر الاضطرابات والفتن التي كان يشكوها العالم الاسلامي بلسان واحد من امير مكة الشريف عون الرفيق وهي الشكوى التي سجلها امير الشعراء احمد شوقي في قصيدته :

ضج الحجيج وضج البيت والحرم   واستصرخت ربها في مكة الامم

التي يوجه فيها نداء استنجاد واغراء للخليفة في هذه الابيات

رب الجزيرة ادركها فقد عبثت بها الذئاب وضل الراعي الغنم

❁❁❁

لك الربوع التي ريع الحجيج بها أللشريف عليها ام لك العلم

❁❁❁

فجرد السيف في وقت يفيد به فان للسيف يوما ثم ينصرم

الامر الثاني - تقريب طريق الحج وتوفير راحة الحجيج فقد كانت اركاب الحج تلاقي الامرين دون الوصول الى المسجدين المعظمين سواء في الاسفار البحرية وما يلاقي الركب من العناء ثم ما يتعرض له من الاهوال بين جدة ومكة ثم بين مكة والمدينة او في الاسفار البرية من طريق بادية الشام حيث يقطع الركب زمنا طويلا يتعرض فيه الى اهوال اخطر مما في الطريق البحري حتى كانت هذه العوائق والصعوبات كثيرا ما تصد اركاب الحج عن غايتهم خائبين

فاملوا من هذا الخط ان يكون سببا في تسهيل رحلة الحج وتامينها وتقريبها وتحدثوا بانه اذا انجز استطاع الحاج ان يصلي الجمعة في المسجد الاقصى بالقدس الشريف ثم يصلي الجمعة الموالية في مسجد النبيء صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ثم التي تليها بمكة في المسجد الحرام

فاقبلوا بهذه العاطفة الدينية الشريفة على الاكتتاب الذي اعلنت حكومة الخلافة فتحه وانصبت التبرعات على الاستانة من مصر والهند وايران وشمالي افريقيا ومسلمي البلقان والقوقاز والتركستان والصين والبلاد العثمانية الشاملة للممالك العربية من اليمن والحجاز والعراق والشام وكان التبرع الشخصي للسلطان عبد الحميد وحده اربعين الف ليرة تركية وكان الاكتتاب كافيا لتسديد النفقات التي اقتضاها تاسيس هذا الخط من اقامة الحنايا والقناطر والانفاق في ارض قفراء اعز موجود فيها الماء حتى بلغت النفقات الى ثلاثين مليون جنيه انكليزي امتد بها الخط على مسافة الف وثلاثمائة ميل ما بين دمشق والمدينة

وكان اول مظهر من مظاهر النجاح لهذا العمل الجليل وصول القطار من دمشق الى عمان شرقي الاردن فقد كان دخول اول قطار الى محطة معان في يوم عيد الجلوس السلطاني سنة ١٣٢٣

واهتز العالم الاسلامي طربا لهذا الحدث العظيم وفاضت على دار الخلافة آيات الثناء والهناء من كل صوب وانطلق شاعر النيل الاجتماعي حافظ ابراهيم يوجه الى الخليفة والعالم الاسلامي والامة العثمانية الدستورية تحيته الفياضة في القصيدة النونية الخالدة

اتى الحجيج عليك والحرمان ... واجل عيد جلوسك الثقلان

ارضيت ربك اذ جعلت طريقه ... امنا وقرت بنعمة الرضوان

وجمعت بالدستور حولك امة ... شتى المذاهب جمة الاضغان

وكان وصول القطار الى المدينة المنورة سنة ١٣٢٥ اعظم وابهج وكان في الحسبان ان ينتهي بقرب الى مكة المكرمة قبل عام ١٣٢٨

واقبل الحجاج من اطراف الدنيا على السفر بهذا الخط فكانوا يفدون الى دمشق بالخطوط الحديدية المتلاقية عليها من مصر الى اروبا او بالبواخر المترددة على حيفاء وبيروت او بالوسائل البرية الخاصة من اطراف البادية العراقية والشامية فلا تزال سكة الحديد تتقاهم اركابا يومية تتغنى بنعمة الحج ونعمة الامن ونعمة الراحة وتشيد بفضل امير المؤمنين وكانت مدة السفر بين دمشق والمدينة المنورة خمسة ايام يدفع الحاج في مقابل سفره فيها نحوا من ليرتين عثمانيتين ولم يزل في جميع بلاد الاسلام اليوم من اذا ذكر هذا العهد عنده بكى حنينا لتلك الساعات الطيبة التي فاز فيها بالحسنتين منهم رجال نعرفهم ببلادنا بارك الله فيهم

وبقي الناس يلهجون بهذه الحسنة في مفاخر السلطان عبد الحميد حتى لم تستطع الثورة الفكرية التي كونها ضده الاتحاديون في بلاد الاسلام ان تمحو هذا السطر النير من صحيفة مجده كما قال حافظ في خلع عبد الحميد

فرح المسلمون قبل النصارى ... فيك قبل الدروز قبل اليهود

❋❋❋

حالوا طمس ما صنعت وودوا ... لو يطيقون طمس خط الحديد

ذاك عبد الحميد ذخرك عند الـ ... ـله باق ان ضاع عند العبيد

وتبعت وصول سكة الحديد الى المدينة حركة علمية ادبية فكم قصائد قيلت في وصفها ومدح منشئها وكم مساجلات رصعت مجالس الادب في المدينة المنورة حول هذه المأثرة الخالدة وكم محاورات علمية اثرية جرت بين العلماء حول ما في السنة من المبشرات بهذا الفتح العظيم الذي تنور بالانتساب الى المدينة المنورة

حتى كان من اثار هذه المحاورات ما صدر عن قلم استاذنا العلامة الشريف حافظ المغرب وسند الاسلام سيدي محمد عبد الحي الكتاني من الصنع العجيب والابتكار البديع في رسالته التي سماها : اليواقيت الثمينة في الاحاديث القاضية بظهور سكة الحديد ووصولها الى المدينة وقد بناها

ـ حفظه الله ـ على سبعة احاديث تشير الى ظهور سكة الحديد بما تدور حوله معانيها من تقارب الازمان وتقارب الاسواق وترك القلائل ورخص الخيل وتواصل الاطباق وعمران الخراب وزوال الجبال وعلى ثلاثة احاديث تشير الى ما يقتضي ان سكة الحديد تصل المدينة بما تشتمل عليه من التبشير بعود ارض العرب مروجا وانهارا وبلوغ مساكن المدينة الى يهاب وخروج الناس من المدينة الى الشام يبتغون الصحة وهو تصنيف جليل يزيد طالعه انشراحا لدلائل النبوة ومعجزاتها الباقية طبع بالجزائر سنة ١٣٢٩ وكان هذا الاقبال العظيم على سكة الحديد الحجازية يمتد بالآمال الى ارجاء واسعة من البرامج العمرانية والاقتصادية والاجتماعية الناشئة عن تواصل اطراف العالم العربي وارتباط البلاد العربية بالخطوط الاروبية الرئيسية فكان من المقدر الذي في حكم الواقع ان يكتمل امتداد هذا الخط الحديدي الى مكة ثم الى جدة ومنها الحديدة وصنعاء. ولكن شبح الحرب العالمية المرعب سنة ١٣٣٢ قد قطع لذة هذه الاحلام فعلى بوادر الاضطراب والاختلال الاولى بدا الخراب ينتاب سكة الحديد بتجري قبائل البادية العربية امام ضعف الحراسة ثم كانت سنة سنة ١٣٣٥ تحمل للسكة الضربة القاضية في ثنايا الحوادث المؤلمة التي جرت بين الترك والعرب

فاندفعت طلائع الجيوش الهاشمية نحو السكة تخربها بالمفرقعات لتقطع على الجيش التركي المرابط في المدينة المنورة طريق الازواد والامداد وبذلك انقطعت السكة من نقط عديدة فتعطل سير القطار وانقطع الاتصال بين المدينة ودمشق وكانت لشدة الحصار الخانق الذي نزل على المدينة المنورة فلم يستطع ان يصبر على لأوائه الا القليلون

ونزلت نقطة من سواد الحزن الذي لا يمحى في كل قلب ينبض بالشعور بروح الاسلام واطبق سواد القلوب على سواد الاحزان حتى وضعت الحرب الكبرى اوزارها وضمت السلطنة العربية الهاشمية بين الشام والحجاز فبدا الملك حسين وابناؤه يعملون جهدهم لاعادة هذا الخط وبعث الامل الكمين في نفوس المسلمين في تجديده وكادت اعمال الترميم ان تنتهي وان يعود القطار الى سيره سنة ١٣٤٣ لولا ان هجوم السعوديين على الحجاز قد قطع على الدولة الهاشمية كل امل واوقفها عن كل عمل ومن يومئذ دخلت قضية سكة الحديد الحجازية في مشكل قانوني جديد

فبعد ان كان هذا الخط يمتد في وسط مملكة واحدة هي السلطنة العثمانية ثم السلطنة الهاشمية اصبح بحكم معاهدة سيفر وما التحق بها من الاحداث من تملك السعوديين للحجاز وسقوط السلطنة الفيصلية عن سوريا وتاسيس امارة شرقي الاردن وسن النظام الخاص بفلسطين

اصبح هذا الخط خطا امميا مشتركا بين اربع ممالك هي سوريا وفلسطين وشرقي الاردن والحجاز وازاء هذا اضطربت المواقف السياسية نحو الخط الحديدي

فكانت الفكرة السائدة في البلاد الاسلامية باسرها ان هذا الخط نظرا لصبغته الدينية التي كونته عليها دولة الخلافة ونظرا لتجمع راس مال تكوينه من اكتتاب بلاد الاسلام قاطبة فانه لا يجوز ان يعتبر من املاك الدولة بل لا يعتبر الا اعتبار الاوقاف الاسلامية الموقوفة على اقامة شعائر الدين فليس لدولة من الدول عليه حق الملك كما ليس لها ذلك على المساجد والاوقاف

ولقوة هذه النظرية تلقتها الاوساط الحقوقية العالمية بالاذعان واعترفت بصوابها الحكومتان الفرنسية والانقليزية في مؤتمر لوزان

فبعد ان تورطت جمعية الامم في تسجيل هذا الخط ملكا للدول الاربع المار في ارضها وقسمته بالكيل بين تلك الدول اعلن مؤتمر لوزان نقض هذا العمل وقرر ان الخط من املاك الجامعة الاسلامية العامة ودعا الى تكوين لجنة اسلامية مشتركة تستقر في المدينة المنورة وتتولى تنسيق العمل بين الحكومات في كيفية تنظيم سفر الحجيج بهذا الخط على اوفق وجه ولكن هذه الفكرة لم يتبعها تنفيذ عملي ووقع الشروع في اصلاح القطع السورية والفلسطينية والشرقية الاردنية بواسطة شركات النقل المحلية واستعملت لمصالح تلك الشركات بين دمشق وعمان وبقي القسم الحجازي منها معطلا الى اليوم

وطالما تألم زائروا المدينة المنورة لمرأى المحطة قائمة عند باب العنبرية تبكي من بناها وقضبان السكة لا تعرب عن حياتها باكثر من تعثر السائرين فيها والعربات واقفة يتجاذبها الوجود والعدم

وكانت هذه الالام تدفع بالحكومة السعودية الى فتح المذاكرات مع الدول لاعادة هذا الخط على قاعدة الوقف الديني التي تقررت في لوزان وحاولت فصل المسالة على هذه القاعدة في مؤتمرين عقدا لهذا الغرض في حيفاء سنة ١٣٤٦ وسنة ١٣٥٤ فاسفرا عن الاخفاق حتى وجدت المسالة حلها البسيط على بساط الوحدة العربية في المذاكرة الشخصية بين الملك عبد العزيز ورئيس الجمهورية السورية وانطلقت حكومة سوريا ترصد الاعتمادات لترميم القطعة الحجازية من الخط والحكومة السعودية تتذاكر مع الولايات المتحدة الامريكية في شراء العربات واطمأن المسلمون الى امل واضح في هذه المذاكرة الاخوية وتباشروا باقتراب اليوم الذي يهلل فيه العالم الاسلامي لعود سفر الحجيج بالقطار بعد طول الانتظار وتعاقب الادوار .

محمد الفاضل ابن عاشور



اصل بيعة الرضوان وسببها

وما نـــــــزل فيها وورد في فضلها

قال تعلى في كتابه « لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » هاته الاية من سورة الفتح التي نزلت في رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية وذلك انه في سنة ست من الهجرة النبوية راى عليه الصلاة والسلام في منامه انه دخل مكة هو واصحابه . آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين وانه دخل البيت واخذ مفتاحه وطاف هو واصحابه واعتمر واخبر بذلك اصحابه ففرحوا ثم اخبر اصحابه انه يريـد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر وخـرج صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه الف واربعماية من المسلمين يوم الاثنين غرة ذي القعدة من سنة ست من الهجرة وساق معه الهدى سبعين بدنه وفي هـاته الغزوة المباركة وقع نبع المـاء من بين اصابعه الكريمة تلك المعجزة العظيمة التي ادخرها الله له وخصه بها دون انبيائه المرسلين ورحم الله القائل :

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر ❊ فـان في الكف معنى ليس في الحجر

ومعجزة اخرى وهي انهم لما نزلوا بالحديبية التي هي بئر قرب مكة نزح مـاؤهـا حتى لم يبق فيها قطرة ماء فاشتكى الناس له صلى الله عليه وسلم العطش وكان الحر شـديدا فـاخرج صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته ودفعه الى البراء بن عـازب وامره ان يقرزه في جوف البئر فجـاش الماء ثم امتلأت البئر فشربوا جميعا ورويت ابلهم .

ولما اطمأن صلى الله عليه وسلم بالحديبية جاءه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه فسأله مـا الذي جاء به فاخبره انه لم يات يريد حربا انمـا جاء زائرا للبيت فلما رجع لهـم رسولهم واعـلمهم لم يستمعوا له كما لم يستمعوا ولم يعتمدوا قول رسولهم الثاني وارسلوا رسولهم الثالث وهو عروة

ابن مسعود الثقفي عظيم الطائف ومتمول العرب ولما اتى هذا الرسول للنبي صلى الله عليه وسلم وراى ما يصنع اصحابه من التأدب معه والتعظيم والمحبة والاجلال فاذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له ولا يغسل يديه الا ابتدروا وقضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يسقط شيء من شعره الا اخذوه تبركا ولما رجع اليهم الرسول قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه اخاف ان لا تنصروا عليه فقالوا له لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور وقال ما اراكم الا ستصيبكم قارعة . فأخذ صلى الله عليه وسلم في اهل قريشا ويعلمهم انه جاء زائرا غير محارب وهم يقولون لا يدخل علينا عامنا هذا . وكان من رسله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان مع عشرة من اصحابه فاحتبسوهم فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم انّ عثمان قد قتل مع العشرة الذين معه فأمر الله سبحانه بالبيعة فنادى منادية ايها الناس البيعة . البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فثاروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة من اشجار السحر فبايعوه على عدم الفرار وانه اما الفتح وما الشهادة وقيل لها بيعة الرضوان لان الله تعالى رضي عنهم في قوله جل من قائل لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال عليه الصلاة والسلام لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة وقال ايضا لا يدخل النار من شهد بدرا أو الحديبية

واول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان ابن ابي سنان الاسدي فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ابايعك علي ما في نفسك قال النبي وما في نفسي قال اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان واقام صلى الله عليه وسلم بالحديبية عشرين يوما وقع في اثنائها صلح الحديبية

وفي هاته الغزوة حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه الشريف حلقه خراش ابن امية الخزاعي ورمى شعره على شجرة فاخذه الناس تبركا واخذت ام عمارة رضي الله عنها طاقات منه فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبرا باذن الله تعلى

وكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة الصحابي الجليل سيدنا ومولانا ابو زمعة البلوي صاحب ودفين مقامه الشهير به بمدينة القيروان رضي الله عنه وعن سائر اصحاب سيدنا ومولانا الرسول الاعظم صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه وسلم وهو الصحابي الجليل ابو زمعه عبيد الله

ابن ءادم البلوي نسبة الى حي من قضاعة يسمى بلي على وزن علي .. فاذا نسب اليها قيل بلوي شهد بيعة الرضوان وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وشهد فتح مصر سنة عشرين في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه وغزا افريقية مع الامير معاوية بن حديج سنة اربع وثلاثين واستشهد بجلولة بالمكان الذي بني فيه حوطة تسمى الى الان بسيدي عبد الله الشهيد وهي التي في الميل الرابع والعشرين من القيروان تعرض على يمين الذاهب لسوق الجمعة من عمل جلاص ودفن بالقيروان بالبقعة التي سميت به من ذلك الوقت فقيل البلوية وامرهم رضي الله عنه عند الوفاة ان يستروا قبره وان تدفن قلنسوته معه التي فيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا ينقل المؤرخون عن المؤرخ الشيخ ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن رشيق في كتابه كرامات اهل افريقية وكل من كتب في هذا الشان ينقل اتفاق من سبقه على ان قبره في المكان الموجود الآن بقبته وعليه سياجه المشاهد وهكذا ينقله الخلف عن السلف الى يومنا هذا قال ابن ناجي وقبر ابي زمعة الغالب والاصح انه معين في البلوية فان هناك سارية يقول كثير من الصالحين انها علم على قبره اما بمنامات راوها او بانوار يرونها عليها ويذكرون انهم يرون عليها طايرا ياوي اليها لا يراه الا الاولياء فلا يقدرون على القرب منها حتى يطير عنها والله اعلم . وكتب العلامة المحقق مفتي تونس في عصره الشيخ سيدي ابي القاسم عظوم صاحب الاجوبة والبرنامج بخطه بطرة نسخته من المعالم على هذا المحل ما نصه اخبرني رجل من اهل الخير اسمه دحمان بن علي في شهر رجب عام ١٠٠٦ ستة والف انه كان راى طائرا اخضر حسن الخلقة ياوي الى قبة المقام المذكور عشية الجمعة ويبيت هنالك ويطير صبح يوم السبت قاصدا ما بين الشرقي والجوفي قال وما رايت قط مثل ذلك الطائر ولذا دل على ان هذا الرجل الرائي من الاولياء لقول المصنف لا يراه الا الاولياء ثم قال ابن ناجي الى غير ذلك مما يحكى عن الصالحين وغيرهم من اجابة الدعاء في ذلك الموضع ثم قال فجدد قبره رضي الله عنه حيث تلك السارية وبنيت عليه قبة منمنمة الوضع وجعل لها حرم يدور بها من جهاتها الاربع مصان بالبناء والغلق وجعل في تلك القبة حيث كان العمود عند راسه لوح من رخام رسم فيه اسمه وكتب فيه هذا قبر ابي زمعة البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك مما شمل اللوح انتهى كلام ابن ناجي وهذا اللوح الرخامي المذكور هو التاج الذي يشاهده الزائر الآن عرضه اربعة وخمسون صانتيما وارتفاعه عن سطح التابوت المشاهد سبعة وخمسون صانتيما مكتوب عليه بالخط الكوفي اثنا عشر سطرا نصها بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله هذا قبر ابي زمعة البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه بيعة الرضوان تحت الشجرة الى آخر السطر الثاني عشر ولا يوجد بهاته الكتابة تاريخ وانما يفهم منها ان هاته الكتابة كتبت ما بين القرن الرابع والخامس من الهجرة

(يتبع) محمد طراد



صحف من التاريخ التونسي

تاريخ الصحافة التونسية

استفز همتي الصديق المخلص السيد البشير الفورتي لتسجيل ما اهمل من تاريخ تونس في الحقبة المتأخرة وبالاخص ما يتعلق بالنهضة الفكرية ورجالها ونشر تلك الصفحات المطوية واتفقنا مع اصدقاء لهم اضطلاع واطلاع على ان يكتب كل فرد منا ما يعثر عليه وما هو عالق بذهنه او نقله عن السن الثقات مستنجدين بذاكرة الاخ البشير الخنقي صاحب جريدة لسان الشعب الفياضة ليكون ذلك مادة لمن يتولي الكتابة في تاريخ تونس الحديث وها لنا ابدأ هذه المذكرات باوليات الصحافة التونسية والطباعة بهذه الديار حاثا كل من عرف شاردة في الموضوع افادة القراء بها خدمة للادب والتاريخ

في ١٨ رمضان سنة ١٢٧١ هـ ١٨٤٥ م على عهد السلطان العثماني عبد المجيد الاول تربع على دست العرش الحسيني بتونس المشير الثاني الباشا محمد بن حسين باي خلفا عن ابن عمه المشير الاول احمد باشا باي. وفي ٢٤ المحرم سنة ١٢٧٤ تاسست دار الطباعة المرسمية وهي اول مطبعة بهذه البلاد وكان مقرها بنهج الحفصية وتطبع على الحجر بخط مغربي جميل ثم في سنة ١٢٧٦ جلبت لها الحروف الحديدية ثم نقل معملها الى شارع القصر المعروفة بدار لازغلي سابقا التي انتقلت على ملك المرحوم الشاذلي البكوش ثم على ملك غيره الآن ثم وقع نقلها الى نهج سيدي ابن زياد خلف خزنة المكاتيب بالكتابة العامة حذو ادارة المحافظة الآن. وفي عام ١٣١٩ نقلت الى نهج الدريبة بشارع دار الجلد حيث مقرها الحالي. وكان يتولى تصحيح مطبوعاتها جماعة من جلة شيوخ الجامع الاعظم وطبعت بها زيادة عن نشريات القوانين والنظم عدة كتب علمية قيمة كالموطا لامام دار الهجرة عليه الرضوان والموافقات والفروق ومعالم الايمان وديوان قبادو ومطلع الدراري والثلث الاول من الجزء الاول من الحلل السندسية والجزء الاول من ازهار الرياض الخ الخ ...

واول صحيفة صدرت بتونس كانت على عهد المشير الثالث محمد الصادق باشا باي ففي ٤ المحرم سنة ١٢٧٧ صدر العدد الاول من الرائد الرسمي بسعي من الوزير المصلح خير الدين

مؤلف كتاب اقوم المسالك في تدبير الممالك وطبع بدار الطباعة الرسمية وكان المقال الافتتاحي (خطبة الجريدة) مدبجا بقلم مفتي تونس وشاعرها الشيخ محمود قبادو. وتولى ادارة الجريدة ودار الطباعة صحافي سوري يدعى منصور كرليتي كان اصدر قبل ذلك بباريس صحيفة عربية باسم عطارد ولم تعمر كثيرا وتعرف بالوزير خير الدين وبعض عظماء تونس ودارت بينهم محاورات فكان لهذه الصلة الاثر في انتخابه لادارة الرائد الرسمي وكان للسوريين لذلك العهد الاثر في دواوين الحكومة واقلام الترجمة

حرر بالرائد الرسمي اعلام ذلك العصر كالجنرال حسين وزير المعارف وعلامة القطر الشيخ سالم بوحاجب والشيخ محمد بيرم صاحب صفوة الاعتبار وجريدة الاعلام المصرية التي اصدرها بعد هجرته في البلاد التونسية والوزير خير الدين نفسه كتب عن الممالك وسياستها فصولا ممتعة وكانت لغة التحرير فصحى متينة الا ان الاحتفال بالتسجيع جعل بعض التعقيد في المعانى

واهتمت الجريدة في سنتها الاولى بدرس نظام المجلس الاكبر وبقية المجالس وسفر الامير الى الجزائر وثورة خمير وتعرضت للاحداث الخارجية كفتح قنال السويس واكتشاف امريكا زيادة عن النظم والقوانين والوفيات وغيرها من الانباء. واستمرت في سنواتها التالية تتولى نشر انباء العالم واحداث تونس مع عيون الادب وفصول العلم وتولى تحريرها بعد ذلك الشيخ حمزة فتح الله المصري الذي سافر بعد ذلك لمصر وتولى مفتشا بادارة المعارف المصرية واشتهر بالتضلع بعلم النحو ومتن اللغة. ثم تولى رئاسة تحرير الرائد الشيخ محمد السنوسي صاحب المؤلفات والتحارير المعروفة فالحاج حسن لازغلي منشيء النزهة الخيرية (وهي تقويم تونسي صدر ٢٨ سنة ابتداء من سنة ١٢٩١) وفي مدة هذا الاخير تمحضت الرائد لنشر الاوامر العلية والمناشير الرسمية والاعلانات القضائية واستمرت على ذلك ايام تولي المرحوم محمد بن الخوجة رئاسة تحريرها ثم الغيت رئاسة التحرير وارجع نظر الصحيفة الى ادارة المصالح الاقتصادية ثم الكتابة العامة فالادارة العامة للداخلية فالكتابة العامة. والرائد تاسع الصحف العربية التي صدرت في العالم.

محمد الحبيب

الازمـــــات الدينية

في التـاريـخ التونسي

اذا درسنا تاريخ الاسلام بالمملكة التونسية من عهد الفتح العربي (٢٧ هـ) الى الآن ومررنا بالدول الاسلامية العربية او العربية البربرية التي تعـاقبت على راس الحكم التونسي من الاغالبة الى الفاطميين الى الصنهاجيين الى الحفصيين الى الحسينيين - وجدنا المملكة التونسية قد اجتازت بعدد من الازمـات الدينية التي تختلف اهمية ومقـدارا ، وتختلف امتدادا او قصرا في الزمان او في المكان ، ويختلف تأثيرها على تكييف الروح الديني اشعاعا وضؤولة . ونحن مستعرضون لك اهم الازمات الدينية التي مر بها التاريخ التونسي الاسلامي . ثم نفصل ذلك تفصيلا

١ - ازمة النشوء

وهي ازمة مرت بها تونس عند انتشار الديـانة المحمدية بربوعها . ونستطيع ان نقول انها بدأت سنة ٢٧ وانتهت نهائيا على راس القرن

٢ - ازمة اختيار مذهب ينضوي تحت لوائه العدد الاوفر من السكان

وذلك في القرن الثالث على عهد بني الاغلب عند ما دفع التسامح الديني واجتهاد الائمة الى تكاثر المذاهب . وقد حل سحنون الازمة بترجيح المذهب المالكي

٣ - ازمة الصراع بين المالكية والشيعة

انتشرت المالكية على عهد الاغالبة انتشارا عظيما . ثم لمـا زالت الدولة الاغلبية وحلت محلها الدولة الفاطمية او العبيدية - وكانت هذه الدولة على مذهب الشيعة نشبت « الفتنة » بين « الشيعة الرسمية » و « المالكية الشعبية » فانتصر مذهب الشعب على مذهب الدولة

٤ - الازمة السلفية

وهكذا نستطيع ان نسميها . وذلك ان تبحر المدينة على عهد الصنهاجيين قد ادى الى انحلال ديني احتيج في علاجه الى الرجوع الى ما كان عليه السلف الصالح من التمسك باهداب الكتاب والسنة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا هو الاصلاح الكبير الذي قام به اكبر مصلح ديني في الشمال الافريقي المهدي بن تومرت

٥ ـ ازمة القديم والحديث

استولت اوروبا على جهات من العالم الاسلامي وحملت اليها مدنيتها المادية . فوقع ضعفاء الايمان في ازمة ايمانية شديدة . على اية قاعدة والى اية نسبة يستطيع احدنا ان يوفق بين القديم والحديث ؟ اي بين المدنية الاسلامية والمدنية الاوروبية ؟ وعلى اية قاعدة والى اية نسبة يستطيع احدنا ان يوفق بين الشرق وبين الغرب ؟ وبين تراثه القومي الذي هو زاهد فيه وبين المدنية الجديدة الخلابة التي اقبل عليها في شيء عظيم من التكالب

وقد مر الناس خلال هذه الازمة بثلاثة اطوار : طور انكماش رفضوا فيه المدنية الجديدة بكليتها ونفروا منها نفورا كبيرا وازدادوا تمسكا « ماديا » بالمدنية الاسلامية ، طور انفعالي اقبلوا فيه على المدنية الجديدة بقوة تضاهي ابتعادهم عنها في الاول ـ وهذا هو الطور البسيكولوجي الخطير ، طور ارتجاعي اعادوا فيه النظر في المدنيتين وسبروا غوريهما وقابلوا بينهما ووازنوا بين محاسن كل واحدة منها . فكان الى المدنية الاسلامية اشد ميلانا مع ادخال بعض العناصر المادية التي لا تختص بمدنية دون اخرى مثل الاختراعات العلمية النافعة . فبدو جزيرة العرب جنود ابن السعود المحافظ هم الآن ميكانيكيون موتوريون اي انهم تركوا الرمح والجمل واستعملوا الدبابات والرشاشات والدراجات النارية وواصلوا بين الجهات بالطائرات ومع ذلك فهم يقيمون الحدود طبق ما امرت به الشريعة المطهرة ويؤدون الفروض على الوجه الاكمل . انت لا تجد السينما في العربية السعودية لكنك تجد الهاتف على حبل يد ابن السعود لان السينما من مظاهر اللهو والخلاعة والدعة التي اتت بها المدنية المادية وهي من جرائمها القاتلة ايضا ـ اما الهاتف فانه جهاز لا بد منه لدولة حية ناشطة لها بدوها الميكانيكيون

❋ ❋ ❋

قد استعرضنا باختصار اهم الازمات الدينية التي مرت بها المملكة التونسية في تاريخها الاسلامي ولو نظرت اليها بعين تحليل لوجدت ان الازمة الاولى ـ وهي ازمة النشوء ـ انما هي ازمة ضميرية فردية اي ان كل فرد من افراد المجموع التونسي قد وجد نفسه امام ديانة جديدة متحتمة فوازن في ضميره بين المعتقد القديم والمعتقد الجديد فوجد الجديد احسن من جميع الوجوه واعتنقه اعتناقا نهائيا وهو في ذلك مخير لا مسير . وقد صدر عمله هذا عنه طواعية عقب موازنة . ثم ان هذه الازمة الضميرية الفردية قد انقلبت الى ازمة مجموعية لانها لما كانت شاملة لكل فرد من افراد الشعب بحسبه فقد شملت مجموع افراد الشعب بكليتهم وعن بكرة ابيهم .

(للبحث صلة) عثمان الكعاك

حول الاصلاح الاجتماعي

الحياة التونسية

اخترنا هذا العنوان لغموضه وكثرة معانيه وشتى مظاهره. اخترناه لانا نعتقد انه لا يمكن لاحد ان يكون له المام بجميع مظاهر حياة امة من الامم ومهما اتسعت معلوماته لذلك.اخترناه ايضا حتى يشارك في هذا الموضوع اهل المعرفة والكفاءة والحزم ولنكسوا جميعا بلادنا حلتها الكاملة فتخرج كالعروس في اروع مظاهرها لابنائها وتكون نزهة للناظرين.

قال ابو القاسم التونسي ـ الحمد لله الذي انبتنا في هذا البلد الامين بلد كثرت خيراته وتنوعت موارده

فاجابه صالح التونسي بقوله : خل عنك هذه الافكار واطرد عن نفسك هذه الاوهام فاين هي تلك الخيرات واي موارد تعني الم تر ما تقاسيه هذه الامة من الجوع والعراء فامتقع وجه ابى القاسم وكاد ان يتميز من الغيض فتنفس الصعداء واستغفر شلنا وحوقل ثم قال يا اخي صالح انما اردت الكلام على الحياة التونسية اما حالة الفقراء فامرها موكول الى الله ولاصحاب الفضل وراغبي الاجر والغفران. يا اخي صالح الم يقل الله عز وجل : واما بنعمة ربك فحدث ـ يا اخي صالح الم ينعم الله على هذه البلاد بشجرة الزيتون المباركة وبالكروم الطيبة الكثيرة وبالنخلة ذات الثمرة اللذيذة وبالغابات الغناء الكثيفة . الم ينعم الله على هذه البلاد بالمياه الدافقة الغزيرة . الم ينعم الله على هذه البلاد بذخائر المناجم المعدنية ، يا اخي وهل تعلم ما تنتجه بلادنا من القمح والشعير وغير ذلك من الحبوب والفواكه وهل تعلم ما يستخرج من بطون بحرنا وهل تعلم مقدار ما يصدر من بلادنا وما يرد اليها من البضائع المصنوعة وغير المصنوعة من البلاد الاجنبية . فقال صالح ما هذا الكلام وما تعني به فوالله كأنك تصبه علينا صبا تكلم وافصح لنا عن مقصودك فقال ابو القاسم الحمد لله الذي هداك الى طريق الرشاد واعلم يا اخي ان بيني وبينك

خلاف لفظي اني اقول ان بلادنا غنية فتجيبني بان التونسي فقير وكلنا نعلم ان الفقر نتيجة الاهمال وان الغنى نتيجة العمل المنظم وقد ضرب لنا الله عز وجل مثلا لذلك بفرض الفروض وعين لنا اوقات ادائها بغاية الدقة والضبط بحيث لو حافظ عليها الانسان في ترتيبها وفي ميقاتها لنال السعادة الابدية ولنجحت اعماله الدنياوية وكذلك لو حافظ الانسان على اشغاله اليومية بتلك العناية والنظام المحكم لفاز بما يريد . ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولله در العالم المفكر الاستاذ عبد الوهاب باكير حيث قال في مجلة « المباحث » الراقية في عددها الثاني : « واما الحياة العلمية فانها مبنية على قواعد عقلية واساليب منطقية يسلكها الفكر في اكتشاف النواميس الطبيعية التي يسير عليها هذا العالم وكلما الغى الباحثون تلك الاساليب وتلك القواعد اخفق مسعاه واستحال عليه الوصول الى نتائج مرضية »

وبعد فلا شك ان حياة الامة لها صلة بحياة افرادها في حياتها الادبية وفي حياتها المادية ولا شك ان سعادة الامة لها صلة بسعادة افرادها ايضا . وما السعادة الا وجود التوازن الذي يتحصل عليه الانسان في تفكيره وفي اعماله .

والتوازن لا ياتي بفائدة الا اذ استتام التفكير ووجه الى عمل منظم لاستنتاج فائدة مقصودة بالذات فاذا تم ذلك تكون الامة راقية سعيدة ولا يتم ذلك الا اذا وجد في الامة علماء عملون مخلصون في اعمالهم وشعراء مبدعون يذكون بعطفهم انفاس المخلصين ويكبرون اعمال المصلحين وكذلك لايتم ذلك كله الا اذا وجد في الامة فلاحون منتجون وتجار حازمون وعمال اكفياء اما ويا للاسف فاين فلاحونا واين تجارنا الحازمون وهل انك سمعت قط ان جمعية من جمعياتنا الفلاحية اخرجت يوما ما احسن ما انتجته من قمح او من بقل او من غنم أو من بقر تعرضه مفتخرة وكدليل قطعي على استعداد التونسي واهتمامه ومقدرته على الانتاج بتفوق لا يتفق لغيره ولا يقدر عليه سواه وهل سمعت قط ان تاجرا من تجارنا اشتهر وشارك في شركة فلاحة وسافر كالرائد الحازم ليطلع على اسباب ثراء جيراننا وعلى سير معاملهم وصنائعهم ومصنوعاتهم الرائجة ليستفيد منها ويفيد بلاده بعد رجوعه اليه . نعم يجب على التونسي ان يعمل للعلم والادب والفن ويجب عليه ايضا ان يعمل في آن واحد للفلاحة والتجارة بارادة واحده وبعزم واحد لغاية واحدة وهي اعلاء شان بلاده وهو الهدف الذي نرمي اليه لتوجيه مجهوداتنا لذلك يجب على الشباب ان يعمل للاقتصاد بنفس الجرأة التي يعمل بها للثقافة يجب عليه ان يعرض علينا ما انجته بابداعه في الاقتصاد كما انتج وابدع في العلم والفن وفي الحقيقة فان حياة الشعب هي مجموع ما يتحصل

الفتاوى والاحكام

س - رجل ولي الخطابة باحد المساجد هل يجوز له اخذ الاجرة عليها ؟

ج - ذهب ابو حنيفة واصحابه الى بطلان الاجارة على الامامة والاذان وتعليم الفقه والقرءان وغير ذلك من الطاعات ولكن افتى المتاخرون من اتباعه وهم مشائخ بلخ بجواز الاستئجار على هذه الاشياء وعللوا ذلك بالضرورة اي ضرورة المحافظة على الشعائر المذكورة لظهور التواني بين الناس في الامور الدينية فلو لم يرخص لهم في اخذ الاجرة عليها لضاعت والمتقدمون انما كرهوا ذلك لانه كان للمعلمين والائمة ونحوهم عطايا من بيت المال فكانوا مستغنين عما لابد لهم من امر معاشهم اما اليوم وقد حرموا من عطاياهم فلا مانع من اخذهم الاجرة على ما يقومون به من عمل . فالحاصل ان للامام ان ياخذ الاجرة على الامامة كما افتى به المتاخرون قاطبة.

محمد الحطاب بو شناق

عليه من الاعمال الصالحة في العلم وفي الاقتصاد وفي الفن وبتوازن هذه العناصر وبقيمتها تكون سعيدة او غير سعيدة ولا فرق في قيمة عمل الطبيب الحاذق وقيمة عمل الفلاح الناشط وقيمة عمل العامل في المناجم بل ان عمل كل فرد هو امر لازم لنجاح عمل آخر بحيث اذا اختل عمل الواحد منهم اختلت اعمال الاخرين جميعا وتدهور مجتمعه وصاروا جميعا الى الحضيض الاسفل وكل ميسر لما خلق له وهي الحقيقة الحكمية للاستنتاج والعمل المنظم

ولا يغرنك ايها القاري الكريم ما تسمعه من العويل مما يعوز عمالنا لعدم وجود المساعدة والتنشيط لان ذلك عذر الضعيف الذي لا ارادة له والذي يطلب عيشه من الغير فيكون عالة على الناس فينتقص بلا شك من مجهود المجتمع نقصا يشمل جميع اعماله فينحط بلا ريب ويتدهور بسرعة تتناسب مع عدد المتسولين وما يستعملون من الحيل للعيش على كاهل ذوي الهمم ولو ادى ذلك بهلاك الجميع ولا اعني قط بالمتسولين اولئك الاشخاص المتشردين من خليط في العمر وفي الجنس بل اعني عنصرا آخرا اشد واكبر خطرا على المجتمع وهو الشباب المتدفق حياة وقوة والذي لا يعمل ولا يفكر الا في ارضاء شهواته والاسراف فيها فما سبب هذا الداء الذي نخر هيئاتنا ياترى فلا شك ان الشباب المتكاسل هو نسخة من ابويه الذين تعودا الركود والاتكال على الغير في حياتهما فيشيب ولدهما على ما شابا عليه والدواء هو ايقاظ همة الشباب حتى يشعر بقيمته الشخصية والاجتماعية ايضا لان التذكير واجب شرعي كما قال عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

ا. س. ح.



العنصر العقلي في الادب (٢)

بقلم الاديب الشيخ المختار الوزير

فروع الادب

لقد بسطنا من المقدمات في فصلنا السابق ما تادى بنا الى اقرار نتيجة ونبقة متمكنة وهي ان هذا العنصر العقلي في فن الادب هو الروح الذي يعمر هياكل الشعر . ومن دون هذا يفقد الادب ميزة التاثير والالهام . وقد آن لنا من بعد ذلك ان نأخذ في تفصيل هذه النتيجة بوجه من البيان ينفي ما قد يتغشى جنبات الموضوع من الغموض والخفاء . فليس يكفي ان نقتنع بانه لا بد من ملاحظة العنصر العقلي في نقد الادب وتقديره ، بل علينا ان نستوضح مكانة هذا العنصر بالقياس الى غيره من العناصر الاخرى . وفي هذا السبيل ارى لزاما علينا ان ناخذ في ذكر ما اشار اليه النقاد حديثا من تقسيم الادب الى هذين الفرعين . الى ادب الثقافة والتعليم . والى ادب العاطفة والكمال . وان بدء الحديث على اعتبار هذا التقسيم لفن الادب ، يستدعي ان نلم بقضية طالما تحدث النقاد في تاصيلها ، فابدوا فيها واعادوا ، وافاضوا القول واطنبوا في الشروح والتفاسير ، واعانهم الذكاء فاندفعوا في المفاوضات والمحاورات ، واستلانوا تجاذب اطراف المقدمات ، وانقطعوا لتايدها انقطاعا

ومثار هذه القضية ، البحث عن الغاية من فن الادب ، أليس لفن الادب غاية ؟ أليست الغاية من فن الادب ان يعود بالنفع والخير لصالح الانسان ؟

وقد زعمت طائفة من النقاد ان الادب شعلة يشع نورها اللموع على الفكر الانساني ، فيزداد نفاذا وادراكا ومعرفة ، ويزداد علما بالمناطق التي اقتحمها الادب ، فمهمة الادب على هذا الاعتبار القصد الى ثقافة الانسان وانارة سبيله في الحياة ، فالادب يعالج تقريب الانظار

المختلفة ، وسرد الوقائع ، وتدوين العلم ، ذلك ليبلغ الغاية اذ يكون عون الانسانية يساعدها على استجماع اسباب رفاهة العيش ويمكن لها من الاخذ بمعاقد الحضارة . ويفيدها ذكاء باستخدام مرافق الحياة . فاذا قصر الادب دون هذه الغاية ، ولم يكن عونا للانسانية ، ولم يؤد لها حقها عليه . فليس خليقا ان يكون ادبا . وانما هو شيء آخر لا نفع فيه ولا غناء

ونحن نلاحظ من خلال هذا المنظر ان الادب لدى هذه الطائفة قد تقيد بالنزعة النفعية واصبح فنا يقصد منه التثقيف والتعليم ليس غير . وهكذا ان لم يكن فن الادب يحمل رسالة تهذيبية ، ولم يكن ممهورا برأي اجتماعي ، او نصح خلقي ، او فكر فلسفي ، او ملخص تاريخي ، او غير هذا من اصل مذهب او عقيدة ملة فبعيد جدا ان يكون ادبا ، وهكذا ليس يرضى هؤلاء النفعيين ان يحتكموا لغير النفع الذي يسودونه . وروضوا نفوسهم على القيام بفروض طاعته والاذعان له . فاذا تلقتهم معارض فنون الاذواق زاخرة بما فيها ، لجوا في عتو مخلصين لمذهبهم هذا ، ويتجلى تقديرهم للنفع من خلال تقدهم لتلك الايات الفنية الباهرة ، فاذا هم يتساءلون ، ما ذا يقصد المصور بهذا العمل ؟ وماذا يريد الشاعر من هذا القصيد ؟ وما هذه الانغام والملاحن وعلى أي شيء تدل وما نفع ما تدل عليه ؟ . ويتعاظم خطر النفعيين حتى ينكرون « وجود الفن للفن »

وهنالكم طائفة اخرى تدين مخلصة كذلك بما قد انكر النفعيون ، وهؤلاء يحرصون ان تبقى حرية الفن كاملة ، لا تتقيد بشيء من قيود النفع ، ويكتفون من الادب ومن سائر الفنون الاخرى ان تكون مثيرة للعاطفة ، ومثيرة الى القوى العقلية ، والوظيفة التي يؤديها فن الادب على راي هذه الطائفة ان يعبر عن الصورة التي عزلها خيال الاديب واتخذ من تركيبها الابداعي غرضا وغاية ، وعبر عنها تعبيرا ممتعا لذيذا قويا مؤثرا على كل حال ، وهكذا نكون امام هذه الصور في غير حاجة الى الحكم عليها بالصدق والصحة ، او الكذب والبطلان ، وفي غير حاجة الى ان تكون فائضة بالمنافع والخبرات وصالح الانسانية . يقول الاستاذ أدورث - « علينا اذن ان نسمح للفني المخترع بان يلهو بموادة قليلا . وان نتغاضى عن مزاجه الخلقي . وان لا ننتظر منه ان ينتج قطعة فنية او غيرها من المخترعات كما يجمع الحاسب جداول الارقام » ولكي يزداد موضوع هذه القضية وضوحا . اذكر ههنا راي تاغور فيلسوف الهند وشاعره ، فقد تناول هذه القضية في محاضرة عن الفن القاها بامريكا ، وترجمها الاستاذ يوسف حنا من منذ اعوام ، واقتبس منها لطلابه ملخصها استاذنا بالجامعة احمد الشايب . وقد أتبع ذلك بشرح

قيم . قال تاغور . « ان اهم فارق بين الانسان والحيوان ان الثاني يرتبط بالحياة ارتباطا يقف عند حدود الضرورة . فلا يتعداها . الى الكماليات الفائضة المستجدة التي تعد من اقوى مظاهر الحرية الانسانية . فالحيوان يقنع بما يسد كفايته من الطعام والشراب . في حين ان الانسان يطمع دائما ان يتجاوز هذه الحدود . فيضاعف ارباحه ويكدس ذخائره . ويتلمس الاسباب لانواع الرفاهية . والنعيم . ويتحرر حينئذ من كل ضرورة ملحة . ويصبح سعيه في سبيل المال غاية . من الغايات . وهنا نقول السعي للسعي وكما يقال العلم للعلم والفن للفن . كذلك نجد معارف الحيوان تنتهي عند حاجته الى المسكن . والغذاء وتكييف نفسه على حسب الجو المحيط به . ولكن الانسان . يعرف اكثر مما تتطلبه ضرورات العيش وهذه الزيادة . من المعرفة هي التي تدفع الانسان الى الفخر بانها المعرفة للمعرفة . وهي التي تشعره بلذة الاطلاق والحرية وتسمح له ان يقيم عليها علومه وفلسفته . فاذا تركنا هاتين الناحيتين الحسية والعقلية . الى ناحية الوجدان . راينا ان الانسان يشترك مع الحيوان في ضرورة التعبير عن عواطف الفرح والالم. والخوف والغضب والحب . وهذا التعبير الوجداني لا يتعدى حدود المنفعة عند الحيوان. ولكنه عند الانسان يتصل بسبب قوي الى نفس الحدود النفعية . ثم يتجاوزها الى آفاق اخرى يكون التعبير فيها عن الوجدان غير مقصود به حفظ الحياة . وانما هو التعبير للتعبير او يكون الفن للفن . فالانسان له فيض من نشاط العاطفة . يزيد كثيرا عما تتطلبه حاجته الى منفعته وحفظ نفسه . وهذا الفيض العاطفي صعب على النفس كبته . فهو يحاول دائما الخروج الى لكون في شكل ما . وهذه الاشكال هي نتائج الفنون اه » .

ومن مراجعة اطراف هذه القضية وتفهم ما ألم به تاغور نلاحظ ان الادب قد تأدت به هذه الاعتبارات الى احقاق تقسيمه . فاصبح الادب فرعين مختلفين هذا الفرع المرتبط بحدود المنفعة . ثم ذلك الفرع الطلق البعيد عن كل اتصال باسباب النفع . فكان ادب الثقافة والتعليم . وكان كذلك ادب العاطفة والكمال .

ونغتفر لانفسنا ما كنا نتعمده من ارسال كلمة الادب في جملة ما دار لنا من حديث من دون ان نتقيد باعتبار هذا التقسيم .

ومهما يكن من شيء فقد تهيأ لنا ان نعود الى استجلاء العنصر العقلي في كل فرع من فرعي الادب . لنتعرف مكانة هذا العنصر في الفرعين على السواء .

(يتبع)



من تـأثير الرياضة البدنية في التفكير القومي

البحث عن كمالات الغير لا عن نقائصه

(بقلم الشيخ الطيب العنابي)

قرات في العدد الاخير من « المجلة الزيتونية » الغراء مقالا ممتعا تحدث فيه صديقي الفاضل الشيخ عبد الوهاب الكرارطي عن الرياضة البدنية

قرات ذلك المقال ولست ادري والله كيف ولا لماذا اثـارت قراءته في نفسي حاجة غريبة ملحة تدعوني بدوري للكتابة في الرياضة البدنية وتـلح علي في تلك الدعوة وتسرف وتفرط في هذا الالحاح الى حد بعيد

نعم انها لحاجة غريبة لانني كنت ولا ازال حتى اليوم ابعد الناس عن الرياضة البدنية وعن الشغف والولوع بالرياضة البدنية شغفا خاصا وولوعا ممتازا . وانا في ذلك كزميلي الشيخ عبد الوهاب الكرارطي فهو - فيما كنت اعلم - ازهد الناس ايضا في حضور المظاهرات الرياضية التي كانت تنتظم بتونس وهو لا يزال - فيما احسب - محتفظا او شبه محتفظ لنفسه في بذلك الزهد محافظا او شبه محافظ عليه

ولكن من يدري فلعلني اجد في نفسي دون ان اشعر بذلك الشعور الكامل نفس تلك الدواعي ونفس تلك العوامل التى كان يجدها الشيخ عبد الوهـاب الكرارطي في نفسه قبل ان يكتب فصله عن الرياضة البدنية والتي دعت بالاخارة وبعثت به الى خوض غمار الكتابة في شيء لا يمت له هو بصلة التعارف الصناعي العلمي ؟

اي والله ! من يدري فلعلنا - وقد اصبحنا من قدماء الزيتونيين - حرمنـا الرياضة البدنية ومن الاستفادة شخصيا من الرياضة البدنية ؟ ومن يدري لعلنا تألمنا جد الالم من ذلك الحرمان ؟ ومن يدري فلعلنا - وقد انضجتنا الحياة وحررتنا السن من قيود التقليد والامتثال المجرد البسيط -

شعرنا اليوم بحاجة الى رد الفعل فاحببنا الانتقام لانفسنا المهضومة المظلومة وقمنا نرغب الشباب في هذا الفن الجميل بعد ان رغبنا سابقون بكل الوسائل عنه ؟

وهنا احسب ان تلاميذي الصغار العزيزين بـالمدرسة الخلدونية سوف لا يغفرون لي ابدا زلة الاطالة في هذه المقدمة، وانهم عند ما يقرؤون مقـالي هذا سوف يمططون حواجبهم قليلا وسوف يقضمون شفاههم بعض القضم وسوف يرخون رؤوسهم تعجبا من هذه الاطالة واستنكارا لها واحتجاجا بها لانني طالما نهيتهم وشددت عليهم في النهي عنها

ولكن تلاميذي الصغار العزيزين سوف يصبحون - بعد قليل من الزمن او بعد كثير ان شئتم - كبارا مثلي ومثل صديقي الشيخ عبد الوهـاب الكرارطي . وسوف يسمحون لانفسهم - عندما تنضجهم الخبرة والتجربة وعند ما تحررهم السن والخبرة من قيود الكتابة المدرسية - بالاطالة في ما يكتبونه من مقدمات ان راوا فائدة في تلك الاطـالة او كانت على الاقل لهم فيها لذة ولهم فيها متعة

نعم ! انه في امكان تلاميذي وتلاميذ الشيخ عبد الوهاب الكرارطي الصغار العزيزين انتظار ايام النضج والاكتمال للتحرر مما يفرضه التعليم المدرسي من قيود . ولكن ليس لهم ابدا ان يفرطوا ايام الصبا والفتوة . وما في الفتوة والصبا من قوة وغزارة واندفـاع ومرونة، ليس لهؤلاء التلاميذ الصغار العزيزين ان يضيعوا هاته الايام الغوالي وان ينتظروا ايام النضج والاكتمال ليقبلوا على الرياضة البدنية، فالرياضة البدنية واجب اكيد يتحتم عليهم اليوم قبل غد المبادرة بالقيام به وواجب اكيد واكيد جدا، وقد حدثكم صديقي الشيخ عبد الوهاب الكرارطي عن الرياضة في القديم والحديث وقد حدثكم هو وحدثكم غيره من قبله عما عسى ان ينجر لشباب الامة ' لهـاته الزهرة النضرة التي نعلق عليها امالا جساما من المنافع البدنية والاخلاقية للافراد بصفتهم افرادا ' وللجماعة بصفتها كتلة ولكن معين هذه الاحاديث لن ينضب - وانك لواجد - دون جهد او عنـاء - من الاحـاديث عن الرياضة البدنية ما شاء الله - ما من شانه ان يكشف للناس عن حقيقتها وان يعرفهم مزايـاها وان يحببها ويقربها لهم تحبيبا وتقريبا

❀❀❀

وبعد فمن اجل مزايا الرياضة البدنية تقويمها للتفكير القومي فهي تلقن الامة معنى الكرامة والاعتزاز بالذاتية والاعتماد على النفس والثقة بالمستقبل والثبات في النضـال ، والمثابرة في العمل وتوحيد الغاية وما الى ذلك، وكل هاته المزايا قريبة لعقول الناس مفهومة او تكاد ، ولكن هناك ناحية اخرى من نواحي تاثير الرياضة البدنية في التفكير القومي الا وهي توجيه عنايته الى الكمالات وعدم اهتمامنا بالنقائص وبالنقائص فحسب (يتبع) الطيب العنابي

اصلاحات

الخطاء	الصواب	عدد الصحيفة	السطر
ان قولـه	ان	٣١٦	٦
مساقها	مساقه	٣١٦	٦
لاستحقاقه	بوجب استحقاقه	٣١٦	٧
في الوقاية . وبان	في الوقاية فشبهت بالنبي على طريقة التشبيه البليغ وبان	٣١٦	١٢
للناس فيه	للناس ما فيه	٣١٦	١٣
حياتهم فشبهت به طريقة التشبيه البليغ باجتماع	حياتهم باجتماع	٣١٦	١٣
وجه النسبة وذلك	وجه الشبه وذلك	٣١٧	٢
وغيرة	وعبرة	٣١٧	٢
لاضرار كثيرة حين اظهرها	لا ضرار كثيرة اظهرها	٣١٧	٦
عنا وهذا اظهر	عنا .	٣١٧	٧
بالغذاء هو	بالغذاء واصل الغذاء هو	٣١٧	١٥
ان تكونه يكون في طبق	ان تكونه يحصل في طباقات	٣١٧	١٦
برد ببرودها	برد ببرودتها	٣١٧	١٩
ما اشار له	ما اشار اليه	٣١٧	٢٢
الجو برد	الجو فبرد	٣١٧	٢٥
مائعا وانماكان	ما ئعا وربما كان	٣١٧	٢٥
هذا اشير	هذا يعبر	٣١٨	٤
البرودة في لقاح	البرودة هي لقاح	٣١٨	٦
أتت الفاء على	اتت الفاء لترتيب هذه الجملة على	٣١٨	٩
السابق وهو	السابق وتسببه	٣١٨	٩
من ندا	من ند	٣١٨	١٦
ان لاشريك	الاشريك	٣١٩	٢١

مدير المجلة : محمد الشاذلي بن القاضي